

منشورات أسقفية الدراسات العليا اللاهوتية
والثقافة القبطية والبحث العلمي

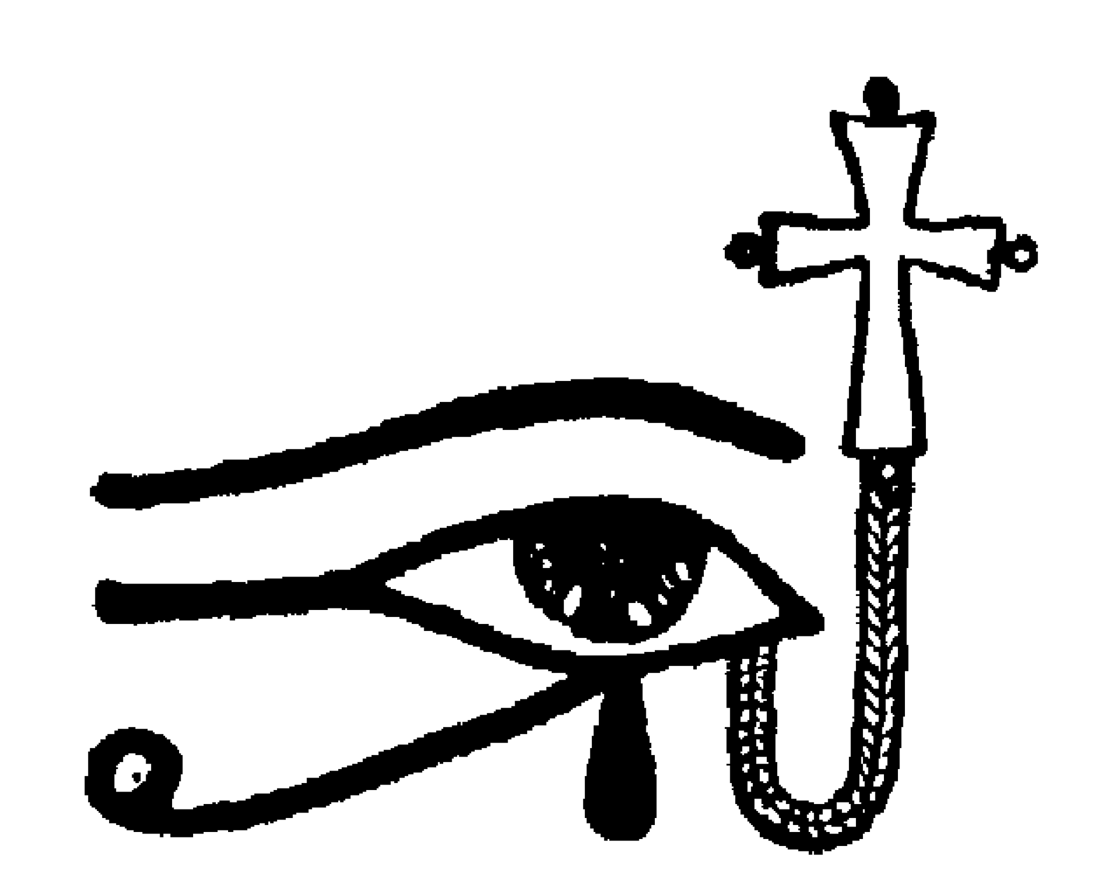
الحياة بعد الموت

تأليف
الدكتور ريموند أ. مودي

تقديم
الأنبا غريغوريوس
أسقف عام
للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية
والبحث العلمى

تعريب
إبراهيم سلامة إبراهيم
(دبلوم الدراسات العليا في الإعلام)
الخادم بكنيسة القديسة العذراء مريم
مدينة النور — شبرا

منشورات أسقفية الدراسات العليا اللاهوتية
والثقافة القبطية والبحث العلمى



الحياة بعد الموت

تأليف
الدكتور ريموند أ. مودى

تعريب
ابراهيم سلامة ابراهيم

(دبلوم الدراسات العليا فى الاعلام)
الخادم بكنيسة القديسة العذراء مريم
مدينة النور ـ شبرا

تقديم
الأنبا غريغوريوس
أسقف عام
للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية
والبحث العلمى

دار الجيل للطباعة ١٤ قصر اللؤلؤة ـ الفجالة
جمهورية مصر العربية تليفون : ٩٠٥٢٩٦

Life after life
By : Raymond A. Moody,, JR., M.D.
Mockingbird books, U.S.A.
First edition : November 1975.

تقديم لكتاب

(الحياة بعد الموت)

ترجمة لكتاب LIFE AFTER LIFE

والمترجم : الأستاذ ابراهيم سلامة ابراهيم

هذا الكتاب ترجمه عن الانجليزية الابن المبارك • الأستاذ ابراهيم سلامة ابراهيم ، الخادم بكنيسة القديسة العذراء مريم بمدينة النور بشبرا ، ترجمة أشهد أنها ترجمة أمينة ودقيقة ، وبلغة عربية رصينة ، عن مؤلفه الطبيب الأمريكى الدكتور ريموند • أ • مودى •
RAYMOND A. MOODY, JR. M. D.

ليس هذا الكتاب كتابا فى العقيدة •••• لم يكتبه أحد اللاهوتيين ليثبت به حقيقة الحياة بعد الموت بأدلة من العقل أو من النقل ••••• ان مؤلفه الأمريكى طبيب لم يكن يخطر بباله يوما ـ كما قال ـ أن يكتب هذا الكتاب ، لكنه وجد نفسه قد التقى دون قصد بوقائع وأحداث رواها له أناس مختلفون ، •• وهم أفراد ماتوا فعلا ثم عادوا الى الحياة ، بعد أن خرجت أرواحهم من أجسادهم فترة ما ، فروى كل منهم على حدة ، ما جرى له فى هذه الفترة التى خرجت فيها روحه من جسده ، وبعدها عاد الى الحياة واستأنف نشاطه من جديد •

قلت وأكرر القول ليس هذا الكتاب كتابا فى العقيدة • ولا الزام لأحد أن يؤمن بما رواه أى من هؤلاء الذين ماتوا فعلا وعادوا الى الحياة ••• انما الكتاب نوع من القصص الذى يرويه بشر عاديون من الناس ، وليسوا من الأنبياء أو الرسل ، وليسوا من كبار القديسين أو الروحانيين البارزين ••• فلا تؤخذ أقوالهم مأخذ أقوال الأنبياء والرسل الذين كتبوا أسفار الكتاب المقدس بوحى من الروح القدس •

ومع ذلك فقيمة الكتاب قيمة أمثاله من كتب الرحلات والسياحات. بيد أن الرحلة هنا رحلة أشخاص الى خارج الجسد ، خرجوا من أبدانهم ثم عادوا اليها . وفى رواية كل منهم متعة روحية وفكرية . وقد افادوا منها لنفوسهم ، فأدركوا قيمة أرواحهم وآمنوا بجمال الفضيلة وكل القيم الروحية . ثم عادوا وهم أكثر تصميما على تصحيح مسار حياتهم ، وقد تفتحت عيونهم على حقائق كانوا يغفلونها ....

* * *

ونحن لدينا فى الكتاب المقدس أمثلة مشابهة عن أشخاص ماتوا ثم عادوا الى الحياة ، ممن أقامهم المسيح له المجد من بين الأموات ، وهم كثيرون (متى ١١ : ٥) ، (لوقا ٧ : ٢٣) .

ولعل أبرز من ذكرهم الانجيل ثلاثة ، هم : (ابنة يايروس) رئيس المجمع اليهودى . فقد ماتت فعلا ، وأقامها مخلصنا — وأعادها الى الحياة (متى ٩ : ١٨ — ٢٥) ، (مرقس ٥ : ٣٥ — ٤٣) ، (لوقا ٨ : ٤٩ — ٥٥)— ثم (الشاب ابن أرملة نايين) ، فقد مات فعلا وحملوه ليدفنوه ، ولكن المسيح له المجد أعاده الى الحياة (لوقا ٧ : ١١ — ١٥) — ثم (لعازر) ، الذى مات ودفن وظل مدفونا مدة أربعة أيام ، وأعاده المسيح فادينا الى الحياة (يوحنا ١١ : ٤٣ ، ٤٤) .

كذلك روى سفر أعمال الرسل أن امرأة اسمها (طابيثا) أو غزالة ماتت فغسلوها ، وجاء ماربطرس الرسول ، وصلى عليها . فعادت الى الحياة (اعمال ٩ : ٣٦ — ٤٢) .

وما أكثر الذين يسألون : ترى ماذا قال هؤلاء الذين ماتوا فعلا بعد أن عادوا الى الحياة ؟ .. ماذا رأوا ؟ وكيف عاشوا هذه الفترة وهم خارج أجسادهم ، خصوصا (لعازر) الذى عاد الى الحياة فى اليوم الرابع لموته ؟

وهذا هو السبب فى أن هذا الكتاب الذى ترجمه الأستاذ ابراهيم سلامة ، كان من بين الكتب الأكثر رواجا فى أصله الانجليزى bestseller حتى انه طبع حتى الآن ما يزيـد على ثلاثة وأربعين طبعة ، ومما يلفت النظر أنه كان يطبع فى بعض الشهور أربع طبعات فى شهر واحد ــ وذلك لأنه كتاب مثير ، ويجذب انتباه الراغبين فى معرفة الموت ومابعد الموت •

* * *

وفضلا عما ذكرته أسفار الكتاب المقدس من أمثلة عن اشـخاص عادوا الى الحياة بعد موتهم ، فان تاريخ الكنيسة أيضا ذكر الكثـير من أمثال هذه الأحداث التى دخلت فى نطاق المعجزات التى أجراها الله على أيدى القديسين فى حياتهم ، وبعد انتقالهم الى الحيـاة الأخرى • ويطول بنا المقام لو سردنا أمثال هذه الوقائع التاريخية • ومما ذكره سفر الملوك عن أليشع النبى بعد موته أن رجلا مات من غزاة موآب فطرحوه فى قبر أليشع فلما نزل الرجل الميت ومس عظام أليشع عاد الى الحيـاة وقام على رجليه (٢• الملوك ١٣ : ٢٠ ، ٢١) •

* * *

وأذكر هنا قصة رواها لى المتنيح مثلث الرحمات الأنبـا كيرلس مطران كرسى قنا وتوابعها سابقا • قال : عندما كنت لا أزال راهبـا بدير القديس أنطونيوس ، وقبل أن أرسم مطرانا على كرسى قنـا ، حدث أن أحد الرهبان بالدير ، أسلم الروح ومات وكان يسمى (الأب منقريوس) فاجتمع الرهبان فى الكنيسـة وحملوا جثمانه اليها ، وشرعوا يصـلون عليه •••• وأثناء الصلاة ، وقبيل تمامها ، نهض (الأب منقريوس) جالسا فى التابوت ، وقال : (ليس الموت لى ، الآن) فذهلنا جميعا •••• وقد كان شيئا غريبا وجديدا علينا لم نره من قبل : ان انسانا مات فعلا ثم عاد الى الحياة ونحن نصلى على جثمانه •••• وبينما نحن الرهبان فى هـذا

الذهول ، ومبهوتون من هيئته ومن كلامه ···· اذا بنا نسمع جرس دير الأنبا بولا القريب منا يدق دقات حزينة ··· وبعد ذلك جاء من يحمل الينا النبأ أن الذى مات هو (الأب منقريوس) من دير الأنبا بولا ··· ثم يعقب المطران الراحل قائلا : اذن أخطأ الملاك فبدلا من أن يجىء الى دير الأنبا بولا ليتسلم روح الأب (منقريوس) فيه ، جاء خطأ الى دير الأنبا انطونيوس ، فتسلم روح الأب منقريوس الأنطونى ، فلما انطلق بها وتبين خطأه أعادها الى بدنه فنهض قائما وعاد الى الحياة ، ثم ذهب الملاك الى دير الأنبا بولا وتسلم روح الأب منقريوس — الأنبا بولا ·

* * *

وبعد ، لقد رأينا فى كتاب (الحياة بعد الموت) LIFE AFTER LIFE متعة مثيرة ، ورحلة ممتعة الى خارج الجسد ···· فشكرا للابن الأستاذ ابراهيم سلامة ابراهيم الذى تجشم عناء مجهود كبير فى نقل الكتاب الى العربية لمنفعة قراء العربية ·

ورأينا أن ننشر هذه الترجمة المشرقة ضمن منشورات أسقفية البحث العلمى ·

وليكن هذا العمل مباركا ولتكن له ثمراته الروحية ···

غريغوريوس

الانبا غريغوريوس
أسقف عام
للدراسات العليا اللاهوتية ، والثقافة القبطية
والبحث العلمى

الجمعة فى ١٨ من أكتوبر — تشرين اول لسنة ١٩٨٥
٨ من بابه لسنة ١٧٠٢

بسم الآب والابن والروح القدس
اله واحد آمين

كلمة المعرب

بالرغم من أن الطبعة الأولى للأصل الانجليزى لهذا الكتاب قد صدرت بالولايات المتحدة الأمريكية فى نوفمبر سنة ١٩٧٥ الا أن بداية تعرفى اليه كانت عندما قرأت الطبعة الانجليزية لعدد ابريل سنة ١٩٧٧ من مجلة « ريدرز دايجست » العالمية وكان قد ورد بها عرض موجز لهذا الكتاب وظللت منذ ذلك الحين أبحث عن نسخة منه الى أن أوفدت أخيرا فى بعثة دراسية وتدريبية من المنظمة العالمية للطيران المدنى ــ الى المملكة المتحدة • وهناك واصلت البحث فى كافة المكتبات المعروفة عن هذا الكتاب ــ حتى عثرت على نسخة منه بمكتبة : « سانت بول بوك سنتر » بلندن • فسارعت الى شرائها فرحا بها • وعند عودتى الى القاهرة سارعت بنقلها الى اللغة العربية حتى يستفيد بها كل من يرغب فى التعرف الى تجربة أحداث ما بعد الموت كما مرت بهؤلاء الشهود الذين أوردهم المؤلف وناقش أقوالهم فى ضوء العلوم التى تبحث فى طبائع الانسان وعلاقته بالوجود فى هذا العالم وفى العالم الآتى خاصة علوم الفلسفة وعلم النفس والعقاقير ووظائف الأعضاء الى جانب بعض البديهيات الطبيعية والمسلمات الدينية والأبحاث الأدبية •

لقد أهتديت من قبل الى كتاب : محاكمة يسوع المسيح ــ وأسرعت الى ترجمته للغة العربية ونشرته أسقفية البحث العلمى مع تقديم للحبر الجليل نيافة الأنبا غريغوريوس وكان ذلك بسبب أن كافة الدراسات العربية قد تعرضت لقضية محاكمة السيد المسيح من النواحى اللاهوتية

أو التاريخية وكان من الضرورى نشر ذلك الكتاب الذى عرض باستفاضة للنواحى القانونية • واليوم اهتديت الى هذا الكتاب الجديد : الحياة بعد الموت ــ وأسرعت الى ترجمته للغة العربية أيضا لأقدم للقارىء دراسة استخدم فيها المؤلف العديد من المناهج البحثية خاصة بعض مناهج بحوث الاعلام رغم أنه ليس من رجال الاعلام ليقدم لنا فى النهاية مؤلفا نادرا عن حقيقة الموت من وجهة نظر الذين عاشوا هذه التجربة وبذلك أسهم فى اثراء الفكر العالمى بنوعية جديدة من الدراسات حول هذا الموضوع الشائك الذى يحجم الكثيرون ليس فقط عن محاولة التأليف فيه بل أيضا عن محاولة الحديث فيه • واذا كان ما ورد فى دراسته الثمينة عن معالجة الكتاب المقدس لهذا الموضوع قليلا الى حد ما فالسبب يعود الى أن المؤلف وصف موقفا لم يستغرق ممن شاهدوه أكثر من عدة دقائق أى أنه موقف متأرجح ما بين الدخول الى العالم الآخر والبقاء فى العالم الحاضر وكان ينتهى دائما بالعودة الى حياة العالم الحاضر بعد اطلالة عاجلة على جوانب سريعة مما قد يعايشه الانسان من أحداث متعلقة بهذه اللحظات الانتقالية وهذا بالطبع لا يمكن أن يتعرض له الكتاب المقدس بالتفصيل لأن اهتمام الكتاب المقدس دائما يتجه الى العمق ولذلك فاننى أنصح القارىء بالدخول الى العمق وارشح له قراءة هذه المجموعة من الكتب التى وضعها آباء الكنيسة القبطية الأرثوذكسية حول هذا الموضوع وهى :

١ ــ سلسلة دراسات فى علم الاسخاطولوجى ــ مقار الآخرة ــ تأليف القمص سيداروس عبد المسيح ــ صدر منها ثلاثة كتب هى : الفردوس ــ الجحيم ــ الملكوت • ولم يصلنى بعد الكتاب الرابع عن : جهنم •

٢ ـ الحياة المتوسطة ـ تأليف : القمص جرجس عبد المسيح •

٣ ـ رحلة الحياة وماذا بعد الموت ـ تأليف : القمص يوحنا عبد المسيح صليب •

٤ ـ فى عالم الروح ـ الجزءان الأول والثانى ـ بقلم : الحبر الجليل نيافة الأنبا غريغوريوس •

وهذه الكتب حديثة الى حد ما بحيث يمكن الحصول عليها هذا بخلاف الكتابات التى مر عليها عشرات السنين متضمنة فى الكتب أو المقالات بالمجلات الدينية •

ان تعريب هذا الكتاب ونقله الى اللغة العربية قد يثير الكثير من الاعتراضات ويلقى الكثير من شكوك المتشككين ولكننى أرجو أن يلقى الاهتمام الكافى من كافة المتخصصين وعساه يفتح نافذة جديدة للكتابة حول هذا الموضوع الحيوى من حيث الجوانب العلمية التى يتفق معها النصوص الدينية وخاصة المحفوظ منها فى أعماق كنيستنا القبطية وأن يكون نشر هذا الكتاب مرشدا عمليا يرشد كل من يقرأ سير الشهداء فى السنكسار الى الآفاق العظيمة التى تسمو اليها الروح الانسانية خاصة اذا كان صاحبها قديسا أو شهيدا عاين أمجاد السماء وهو يعيش على الأرض • الرب قادر أن يجعله سبب بركة بصلوات قداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث بابا وبطريرك الكرازة المرقسية وشريكه فى الخدمة الرسولية نيافة الحبر الجليل الأنبا غريغوريوس أسقف عام الدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية والبحث العلمى ـ ولربنا المجد الدائم الى الأبد آمين •

ابراهيم سلامة ابراهيم

١٩٨٥/٧/٢٦ م

تصدير للمؤلف

هناك عدد كبير من الأفراد الذين ساعدونى وشجعونى خلال أبحاثى وكتاباتى • ولم يكن فى مقدورى استكمال هذا العمل بدونهم • أولهم صديقى الطبيب جون اوزتس الذى عرض على تقـديم أولى محاضراتى العامة حول هذا الموضوع ، والناشر جون ايجل من دار نشر موكينجبيرد بوكس الذى شجعنى على تدوين اكتشافاتى وقدم لى العون والتشجيع طول الوقت • أما سكوت بروكس فانه أمدنى بخـدمات الانتقال الى الأماكن المختلفة والسفر للخارج واستخدام التاكسى كلما أحتجت الى ذلك خلال العديد من الحالات • أما كاثى تاباكيان فقد صحبتنى خلال المقابلات العديدة واستفدت من المناقشات الطويلة التى دارت بينها وبين الأشخاص موضوع هذه الدراسة • أما السـادة روس مور وريتشارد مارتن واد ماكرانى وهم جميعا من أساتذة كلية الطب بولاية جورجيا فقد أمدونى بالاقتراحات القيمـة والمراجع الأدبيـة المتعلقة بالموضـوع • أما زوجتى فقد قضت الساعات الطويلة فى نشر أصول هذا الكتاب وقد كان بعضها مكتوبا باليد والبعض الآخر مكتوبا على الآلة الكاتبـة • وأخيرا فاننى أود أن اشكر أكثر من الجميع هؤلاء الذين اطلعونى على تجربتهم الذاتية مع الموت وأرجو أن يكون هذا الكتاب جـديرا بكل الثقة التى أولانى اياها كل من ذكرتهم آنفا •



تمهيد

يعكس هذا الكتاب الذى وضعه كائن بشرى ـ خلفية وآراء وأهواء مؤلفه ـ ولذلك فبالرغم من أننى قد حاولت أن أكون موضوعيا وصريحا بقدر ما أستطيع الا ان هناك بعض الحقائق المعينة المتعلقة بى وهى ذات فائدة فى تقييم بعض الاستنتاجات غير العادية التى سترد فيما بعد .

وأول هذه الحقائق هى أننى لم اجرب المـوت بنفسى ولذلك فان موضوعى هذا لا يعبر عن تجربة ذاتية لأحداث مررت بها بنفسى . وفى نفس الوقت لا أستطيع ادعاء الموضوعية الكاملة فى هذا الصـدد حيث أن مشاعرى الشخصية قد تدخلت فى هذا السرد . أولا : لقد وصلت الى الاحساس بأننى عشت هذه التجارب بنفسى من خلال ما سمعته من أناس عديدين يقصون التجارب الذاتية التى أوردتها فى هـذا الكتاب وأتمنى ألا يؤثر هذا الموقف فى معقولية وتقييم معالجتى للموضوع . ثانيا : اننى أكتب كشخص لم يتعود كثيرا على الأسـلوب الأدبى الخاص بكتـابة الظواهر غير العادية والغامضة . وأنا لا اقول ذلك للانتقاص من قيمتها لأننى أشعر بالثقة لأن التعرف الأوسع اليها قد زاد من فهمى للأحداث التى درستها . وفى الحقيقة اننى أتعمد الآن أن أنظر عن قرب لبعض هذه الكتابات لكى أرى الى أى مدى استطاعت تحقيقات الآخرين أن تتولد بناء على اكتشافاتى . ثالثا : ان نشأتى الدينية تستحق بعض التعليق :ـ ان عائلتى تنتمى الى الكنيسة المشيخية ولكن والدى لم يحاولا فرض معتقداتهما ومبادئهما الدينية على أبنائهما . وقد حاولا عامة عندما مررت بمراحل العمر المختلفة أن يشجعا اهتماماتى التى طورتها بنفسى وأتاحا لى

الفرصة لأن أقتدى بهما • ولذلك فقد تقدمت فى السن ولدى عقيدة دينية لا تتمثل فى مجموعة من المبادىء الجامدة ولكنها تأخذ شكل الاهتمام بالمبادىء والدراسات والتساؤلات الروحية والدينية • وانني لأعتقد أن جميع الديانات الكبرى التى دان بها الانسان تتضمن حقائق عديدة تقدمها لنا واعتقد أيضا أنه لا أحد منا لديه جميع الاجابات للحقائق العميقة والأساسية التى يجيب عنها الدين • وبناء على هذا الاعتقاد فانني أنتمى الى الكنيسة الميثودستية • رابعا : ان خلفيتى الأكاديمية والمهنية تختلف الى حد ما لأنها شديدة الحساسية • لقد درست الفلسفة بجامعة فرجينيا وحصلت على اجازة الدكتوراة فى الفلسفة فى هذا الفرع سنة ١٩٦٩ • اما مجالات اهتمامى الخاص بالفلسفة فتتركز فى الأخلاقيات والمنطق وفلسفة اللغات • وبعد قيامى بالتدريس لمدة ثلاث سنوات بجامعة فى شرق كارولينا الشمالية رغبت فى دراسة الطب وأردت أن أصبح طبيبا نفسيا حتى أقوم بتدريس فلسفة العلاج بكلية الطب • ولا شك أن كافة هذه الاهتمامات والتجارب قد ساعدت بالضرورة على تشكيل نوعية الاتجاه الذى انحزت اليه فى هذه الدراسة •

اننى أرجو أن يجذب هذا الكتاب الانتباه الى ظاهرة واسعة الانتشار وغامضة وفى نفس الوقت يساعد على تكوين اتجاه عام اكثر تقبلا لها ذلك لأننى شديد الاقتناع بأن هذه الظاهرة ذات معنى عظيم ليس فقط بالنسبة للعديد من المجالات العلمية والعملية خاصة علم النفس والطب النفسى والعلاج والفلسفة واللاهوت والكهنوت ، ولكن أيضا للأسلوب الذى نسير عليه فى حياتنا اليومية •

دعنى أقول فى هذا التمهيد أنه استنادا الى أرضية سأشرحها فيما بعد فاننى لا أحاول أن أبرهن على وجود حياة بعد الموت ولا أظن كذلك

أن تقديم برهان على ذلك أمر سهل فى الوقت الحالى ، ولهذا السبب تعمدت أن أغفل استخدام الأسماء الحقيقية وأغفلت تفصيلات معينة فى القصص التى أوردتها ، بينما حافظت على سياق الكلام بدون تغيير . وقد كان هـذا ضروريا ، أولا : للحفاظ على خصوصيات الأشخاص المعنيين . وثانيا : للحصول على تصريح بنشر خبرتى الشخصية فى المقام الأول .

وهناك الكثيرون ممن سيجدون ان الاستنتاجات الواردة فى هذا الكتاب لا يمكن تصديقها ، وسيكون رد الفعل الأول لديهم هو اغفال هذه الاستنتاجات . ولن ألوم أحدا من هؤلاء ذلك أننى نفسى قد عانيت من رد الفعل هذا منذ سنوات قليلة مضت ، ولا أطالب أحدا بأن يقبل ويؤمن بمضمون هذا الكتاب على مسئوليتى وحدى . حقا اننى كرجل منطق أنكر اتباع هذا الطريق الاجبارى الى الايمان الذى يمر من خلال الاقتراب السلبى نحو السيطرة والاستبداد . ولا أطالب أحدا بأن يفعل ذلك . وكل ما أرجوه ممن لا يعتقد فى صحة ما سيقرؤه هنا أن يتمعن فى ذاته قليلا .

لقد أعلنت هذا التحدى مرارا لفترة من الزمن . أما بخصوص من سيقبل هـذا الكلام فان هنـاك الكثيرين ممن كانوا متشككين فى البداية ، قد شاطرونى رأيى فى هذه الأحداث .

ومن جهة اخرى فمما لا شك فيه أنه سيكون هناك الكثيرون ممن سيقرأون هذه الحكايات وسيجدون فيها راحة عظيمة لأنهم سيكتشفون

أنهم ليسوا وحدهم الذين عاينوا هذه التجربة • والى هؤلاء خاصة اذا كانوا مثل الكثيرين غيرهم قد اخفوا حكايتهم عن جميع الناس الا فله ممن يثقون بهم رغم ندرتها ــ أستطيع أن أقول ما يلى : « أرجو أن يشجعكم هذا الكتاب على الحديث فى حرية حتى تتضح أكثر واجهات النفس الانسانية جاذبية » •

(١)

ظاهرة الموت

ما معنى الموت ؟ انه سؤال ظلت البشرية تسأله لنفسها منذ أن ظهر الانسان على الأرض ، وقد وجدت الفرصة سانحة خلال السنوات القليلة الأخيرة لأثير هذا السؤال فى مواجهة عدد كبير من المستمعين • وكان هؤلاء المستمعون ينتمون الى طبقات تتراوح ما بين العاملين فى مجالات علم النفس والفلسفة والاجتماع من خلال المنظمات الكنسية ، ومستمعى التلفزيون والنوادى المدنية . الى الجماعات المتخصصة فى الطب • وعلى أساس هذه القاعدة العريضة أستطيع القول باطمئنان أن هذا الموضوع يثير أقوى المشاعر الانسانية لدى نماذج عديدة من الناس ويؤثر على مساراتهم فى الحياة •

ولكن بالرغم من كل هذه الاهتمامات يظل من الصعب على الكثيرين منا ان يتحدثوا عن ظاهرة الموت وهناك سببان على الأقل لذلك : أحدهما نفسى ثقافى : ان موضوع الموت محظور المساس به • ربما نشعر فى العقل الباطن فقط بأن هناك ارتباطا بيننا وبين الموت بطريقة أو بأخرى ولو حتى بصفة غير مباشرة ، وهذا الشعور الذى يخالجنا من خلال توقع موت كل منا يجعل موتنا قريبا وأكثر صدقا واستحقاقا للتفكير • وعلى سبيل المثال فان معظم دارسى الطب وأنا بينهم قد اكتشفنا أنه حتى الانطباع المتصل بالموت الذى يحدث للدارس لدى أولى زياراته لمعامل التشريح عند دخوله كلية الطب يمكن أن يحدث شعورا قويا بالقلق • وفى حالتى أنا أرى أن سبب هذه الاستجابة الفورية يبدو واضحا الآن فعندما حدث لى فى الماضى القريب شعرت أنه لا يختص بالشخص الذى شاهدت

جثته بالرغم من أن هذا الاحساس كان موجودا أيضا ولكن ما كنت أراه على المنضـــدة كان نموذجا للموت الذى سيحدث لى • وحتى ولو كان هذا الشعور مترسبا فى العقل الباطن فان الفكرة التى كانت تحتل عقلى على اى حال هى أن « ذلك سوف يحدث لى أيضا » • وعلى هذا النمط يمكن القول بأن الموت قد نراه على المســتوى النفسى كأسلوب آخــر للوصول اليه بطريقة غير مباشرة ولا شــك أن أناسا كثــيرين يتملكهم الاحساس بأن الحديث عن الموت سيؤثر عليهم عقليا فيصبح الموت قريبا بطريقة تجعل الشخص يواجه قدره المحتوم ولذلك فاننا لكى نوفر على أنفسنا هذه الصدمة النفسية نعمل على محاولة تفادى الخوض فى الموضوع بقدر الاستطاعة •

اما السبب الثانى فهو صعوبة مناقشــة موضوع الموت لتعقــده وغموضه وهو أمر يكمن فى طبيعة التعبير باللغة العادية لأن معظم ألفاظ اللغات الانسانية تعبر عن أشياء خضنا تجاربها من خلال حواسنا الجسمية وبالرغم من ذلك فان الموت شىء أبعد من التجارب الحسية لمعظم الناس لأن غالبيتنا لم تمر بتجربة الموت •

واذا كان لابد من الحديث عن الموت فعلينا أن نغفل كلا من المحاذير الاجتماعية ومشاكل اللغة التى تنتج عن عدم خبرتنا ، وما نهدف اليه هو الحديث عن التعبير الســهل لأننا دائما نقارن بين الموت والعــديد من الأشــياء السارة فى تجاربنا الذاتية وأعنى بذلك الأشــياء التى نعرفها وتعودنا عليهــا •

ربما كان التعبير الذى تعودناه دائما هو المقارنة بين الموت والنوم ، فنقول لأنفسنا أن الموت يشبه الذهاب للنوم ، ويدور هــذا الطراز من الحديث عادة خلال الفكر واللغة اليومية ، كما يدور فى آداب الثقافات

المختلفة والعصور المتعددة وهو عادي جدا حتى فى أيام الاغريق القدماء ففى الالياذة على سبيل المثال يسمى هوميروس النوم (شقيق الموت) • أما افلاطون فى محاورته (الدفاع) فانه يذكر الكلمات الآتية على لسان معلمه سقراط الذى حكم عليه المحلفون الأثينيون بالاعدام :

(والآن ، اذا كان الموت مجرد نوم خال من الأحلام ، فلابد أنه مكسب عظيم • وأنا أفترض أنه اذا طلبنا من انسان ان يتذكر الليلة التى نام فيها نوما عميقا بدون أحلام ، ثم يقارنها بالليالى والأيام الأخرى التى عاشها وطلبنا منه أن يذكر عدد أيام وليالى عمره الأسعد من هذه الليلة ــ فاننى أظن أن أى انسان يستطيع احصاء هذه الأيام والليـــالى بالمقارنة مع غيرها • واذا كان الموت كذلك فاننى أدعوه كسبا ، لأن الزمن كله اذا نظرت اليه بهذه الطريقة يمكن اعتباره مجرد ليلة واحدة)[(١)] •

ويترسخ نفس هذا التعبير فى لغتنا المعاصرة بالنظر الى عبارة (دعه ينام) فاذا صحبت كلبك الى عيادة بيطرية وقلت للدكتور : دعه ينام ــ فانك تقصد شيئا يختلف عما تقصـــده اذا كانت زوجتـــك امام طبيب التخدير واستخدمت نفس العبارة : دعها تنام ــ والبعض يفضل تعبيرا مختلفا عن نفس الحالة فيقول أن الموت يشبه النسيان لأن الانسان عندما يموت ينسى كل أحزانه لأن كل ذكريات الانسان المؤلمة والمثيرة للضيق تنمحى •

وبقدر ما نرى عراقة وانتشار تعبيرى « النوم » و « النســيان » فانهما غير قادرين على ارضائنا لأن كلا التعبيرين أســلوب يؤدى الى نفس التأكيد بأن الموت هو ببساطة فناء التجارب الحسية الى الأبد •

(١) Plato. The last days of Socrates, trans-Hugh Tredennik (Baltimore : Penguin Books, 1959), P. 75.

واذا كان الأمر كذلك فان علينا أن تتذكر أن الموت فى الحقيقة ليست له أى من ملامح النوم أو النسيان لأن النوم تجربة ايجابية مرغوبة فى حياة الانسان حيث تليه اليقظة • ان النوم المريح فى احدى الليالى يجعل ساعات اليقظة أكثر اشراقا وانتاجا ، أما اذا لم تليه اليقظة فان فوائد النوم لن تتحقق • وكذلك فان فناء كل التجارب الحسية لا يفرض فقط طمس كل الذكريات المؤلمة بل أيضا الذكريات السعيدة ولذلك فاننا عند التحليل العلمى نجد أن كلا التعبيرين ليس كافيا لارضائنا أو منحنا الرجاء عند مجابهة الموت •

وهناك وجهة نظر أخرى تنفى المفهوم القائل بأن الموت هو فناء الحس أو الادراك وحسب وجهة النظر الأخرى هذه نجد أن بعض صور الكائن الانسانى تبقى حتى بعد توقف الجسد المادى عن العمل وفنائه التام • وقد أطلقت على هذه الصورة الخالدة العديد من الأسماء من بينها : الروح ، والنفس ، والعقل والخيال ، والذات ، والكيان ، والادراك • وبصرف النظر عن الأسماء فان الفكر القائل بأن الانسان ينتقل الى نطاق آخر من الوجود بعد الموت المادى يأخذ مكانه بين أكثر المعتقدات الانسانية احتراما • وفى تركيا توجد ساحة للموتى استعملها انسان النياندرتال الذى يقال أنه كان يعيش على الأرض منذ حوالى مائة ألف عام وهناك درس رجال الآثار البقايا المتحجرة واكتشفوا أن هذه الفصيلة الانسانية البدائية قد دفنت موتاها فى توابيت من الزهور دلالة على أنهم ربما رأوا فى الموت فرصة للاحتفال بانتقال الانسان من هذا العالم الى العالم الآخر •

حقا ! ان القبور التى تنتمى الى العصور القديمة فى كل انحاء العالم تقدم دليلا على الاعتقاد ببقاء الانسان بعد الموت البدنى • وباختصار نجد أنفسنا نواجه اجابتين متناقضتين لسؤالنا الأصلى حول طبيعة الموت

واحدى الاجابتين مأخوذة عن مصدر قديم ولكن الاجابتين معا تنتشران على نطاق واسع حتى فى أيامنا هذه : فيقول البعض أن الموت هو فناء الحس أو الادراك بينما يقول البعض الآخر بنفس القدر من التأكيد أن الموت هو عبور النفس او الروح الى بعد آخر من أبعاد الحقيقة • وأريد فيما يلى ألا أغفل أيا من الاجابتين بل أريد بكل بساطة أن أقدم تقريرا عن بحث قمت به شخصيا •

لقد قابلت خلال الأعوام القليلة الماضية عددا كبيرا من الأشخاص عاينوا ما أطلق عليه اسم « تجربة حافة المـوت » لقد قابلت هؤلاء الأشخاص بأساليب مختلفة • فى البداية كان اللقاء مصادفة وحدث ذلك سنة ١٩٦٥ عندما كنت طالبا أدرس الفلسفة بجامعة فرجينيا اذ قابلت أستاذا للطب النفسى بكلية الطب وانجذبت فى البداية نحو ما يتحلى به من حماس ورقة ومرح ، ولكننى اندهشت عندما عرفت فيما بعد حقيقة مذهلة عنه وهى أنه كان قد مات ليس مرة واحدة ولكن مرتين بين كل منهما والأخرى حوالى عشرة دقائق ــ وأنه سرد قصة غريبة عما حدث له عندما كان ميتا • وقد استمعت اليه فيما بعـد وهو يقص قصته على مجموعة قليلة من الطلبة فأصبحت أكثر تأثرا ولكن بالنظر الى عدم وجود الخلفية العلمية التى تتيح لى الحكم على مثل هذه التجارب فاننى احتفظت بالقصة فى ذهنى وأيضا فى شريط سجلت عليه هذا الحديث •

وبعد حصولى على الدكتوراة فى الفلسفة بعدة سنوات كنت أقوم بالتدريس بجامعة فى شرق كارولينا الشمالية وفى أحد فصول الدراسة كنت أكلف الطلبة بقراءة محاورة (فيدون) لأفلاطون وهى عمل يناقش الخلود بين موضوعات أخرى • وكنت خلال محاضراتى أساند المذاهب الأخرى التى يعرضها أفلاطون ولم أسلط الأضواء على مناقشة الحياة بعد الموت • وفى أحد الأيام وقف أحد الطلبة بعد المحاضرة فى انتظارى ،

وسألنى اذا ما كان ضروريا أن نناقش موضوع الخلود • لقد كان لديه اهتمام بالموضوع لأن جدته ماتت خلال احدى العمليات الجراحية ومرت بتجربة مثيرة • وطلبت منه أن يحكيها لى ، ولدهشتى الشديدة وجدته يذكر تقريبا نفس مسلسل الأحداث الذى وصـفه أستاذ الطب النفسى منذ عدة سـنوات •

ومنذ ذلك الوقت أصبحت أكثر نشـاطا فى بحث هذه الحـالات وبـدأت ألم بالقراءات المتعلقة بموضـوع علاقة بقاء الانسـان بالموت المـادى فى مناهجى الفلسفية ، وحرصت على ألا أذكر تجربتى المـوت سالفتى الذكر خلال هذه المناهج أى أننى طبقت مبدأ الانتظار بحيث أنه لو كانت هذه التقارير عادية فلابد أن أسمع الكثير منها لمجرد استحضارى موضوع الخلود خلال المناقشات الفلسفية متخذا موقف التشجيع تجاه السؤال ثم الانتظار • ودهشت لأننى وجدت فى كل فصـل يتكون من حوالى الثلاثين طالبا واحدا على الأقل يأتينى فيما بعـد ويحكى تجربة شخصية عن حافة الموت •

ومما أثار دهشتى منذ بداية اهتمامى بالموضوع ـ التشابه الشديد فى التقارير بالرغم من حقيقة أنها واردة من أشخاص ذوى خلفيات شديدة الأختلاف دينيا واجتماعيا وثقافيا • وعند دخولى كلية الطب سنة ١٩٧٢ ، جمعت عددا كبيرا من هذه التجارب وبدأت الحديث عن الدراسة غير الرسمية التى قمت بها لبعض اكتشافاتى الطبية ، وكان طبيعيا أن يحدثنى صديق لى عن تقديم تقرير لاحدى الجمعيات الطبية يليه بعض المحاضرات العامة • ومرة ثانية وجدت أنه بعد كل محاضرة يأتى البعض ليسرد على مسامعى تجربة تخصه •

ولمـا أصبح اهتمامى بهـذا الموضوع معروفا بدأ الأطباء يحولون

لى الأشخاص الذين أعادوهم للحياة والذين أبلغوهم تجارب غير عادية ، بينما راسلنى آخرون بتقاريرهم بعد ظهور مقالات فى الصحف حول دراساتى بهذا الخصوص • وأعرف حاليا حوالى ١٥٠ حالة عن هذه الظاهرة ويمكن تصنيف التجارب التى درستها الى ثلاث نوعيات :

١ ــ تجارب الأشخاص الذين عادوا الى الحياة بعد أن أعلن أطباؤهم موتهم اكلينيكيا •

٢ ــ تجارب الأشخاص الذين اقتربوا من الموت المادى أثناء الحوادث أو الاصابات الشديدة أو المرض •

٣ ــ تجارب الأشخاص الذين أثناء موتهم خاطبوا آخرين كانوا حاضرين وفيما بعد ذكر لى هؤلاء الآخرون تجربة الموت •

أما المادة الضخمة التى جمعتها من ١٥٠ حالة فقد اتاحت لى دقة الاختيار فكان بعضها هادفا وعلى سبيل المثال وجدت تقارير من النوعية الثالثة تكمل وتتفق مع تجارب النوعيتين الأولى والثانية ورغم ذلك أسقطتها من الاعتبار لسببين : أولهما أن ذلك يساعد على تقليل عدد الحالات المدروسة الى المستوى الذى يمكن التحكم فيه • وثانيهما أن ذلك ساعدنى على الاقتراب من التقارير المباشرة بقدر الاستطاعة وعلى ذلك تلقيت التفاصيل الخاصة بحوالى خمسين شخصا فأصبحت قادرا على كتابة البحث بالاعتماد على تجاربهم • ويدخل ضمن هؤلاء الخمسين، الحالات التى تنتمى الى النوعية الأولى (نوعية هؤلاء الذين واجهوا تجربة الموت الاكلينيكى) وهى حالات أكثر اثارة من تلك التى تتضمنها المجموعة الثانية (التى حدث لها اقتراب من الموت فقط) حقا ! اننى عندما ألقيت المحاضرات العامة حول هذه الظاهرة اجتذبت قصص الموت

معظم الاهتمام • أما مقالات الصحف فقد كتبت أحيانا باعتبارها النوعية الخاصة بالحالات التى عالجتها بنفسى •

وعلى أى حال فاننى عند اختيار الحالات التى عرضتها فى هـذا الكتاب قد تحاشيت اغراء التعامل مع الحالات التى حـدث فيها الموت فقط ، ولذلك·كما هو واضح فان حالات المجموعة الثانية لا تختلف بل تتطابق مع حالات المجموعة الأولى •

وبالرغم أيضا من أن حالات اقتراب أشخاص من الموت متشابهة فان كلا الظروف المحيطة بهم وبالأشخاص الذين سردوا حكاياتهم تختلف اختلافا شـديدا • وعلى ذلك حاولت أن أقـدم عينة من التجارب التى تعكس هذا الأختلاف • دعنا الآن ننظر فيما سيحدث خلال تجربة الموت واضعين نصب أعيننا هذه المعـايير •

(٢)

تجربة الموت

برغم الاختلاف الواسع فى الظروف المحيطة بتجارب حافة الموت وفى نوعيات الناس الذين دخلوها ، فان الصدق يتمثل فى وجود تماثل واضح بين قصص هذه التجارب نفسها . وفى الحقيقة فان التماثل بين التقارير المختلفة عظيم لدرجة أن الدارس يستطيع أن يستخرج بسهولة حوالى خمسين عنصرا تتكرر دائما فى مجموعة الروايات التى جمعتها . وعلى رأس هذه العناصر المتكررة دعنى الآن أضع نموذجا لتجربة نظرية موجزة تشتمل على كافة العناصر بالترتيب الذى حدثت به لدى الجميع .

(لدينا الآن رجل فى النزع الأخير . انه يصل الى حافة خطر الموت البدنى ، انه يستمع الى اعلان موته من فم طبيبه ، ثم يبدأ فى سماع ضجة مزعجة ، انه صوت ناقوس او طنين مرتفع . وفى نفس الوقت يشعر بنفسه يتحرك بسرعة خلال نفق مظلم طويل . وبعد ذلك يجد نفسه فجأة خارج جسده الطبيعى ، ولكنه لا يزال موجودا فى الوسط المادى المحيط ويرى جسده قريبا منه ، بينما هو فى موقف المتفرج . انه يرى محاولة اعادته للحياة من هذا الموقع غير العادى بينما هو فى حالة انقلاب انفعالى شديد .

وبعد لحظة يستجمع ذاته ويصبح أكثر تعودا على هذه الحالة الغريبة ، فيلاحظ أنه لا يزال له جسد ولكن من طبيعة مختلفة وله قوى مختلفة عن الجسد المادى الذى تركه خلفه . وسرعان ما تحدث أشياء أخرى ، فيأتى آخرون للقائه ومساعدته انه يحملق فى أرواح الأقارب والأصدقاء الذين ماتوا . ويظهر أمامه بوضوح روح ثابت الحرارة من نوع لم يسبق له الالتقاء به ـ انه كائن نورانى ـ ويسأله هذا الكائن سؤالا غير منطوق يجعله يضع تقييما لحياته ويساعده بأن يسمعه تسجيلا لحظيا

شاملا للأحداث الرئيسية فى حياته . وعند نقطة معينة يجد نفسه يقترب من حاجز او فاصل يمثل بوضوح الحد بين حياة الدنيا والحياة الأخرى . وعند هذه اللحظة يجد نفسه مضطرا للعودة الى الأرض لأن موعد موته لم يحل بعد . وعند هذه النقطة يبدأ فى المقاومة لأنه حتى هــذه اللحظة كان مبهورا بتجربته فى الحيــاة بعد المــوت ، ولا يرغب فى العودة . انه مغمور بمشاعر عميقة من الفرح والحب والسلام وبالرغم من موقفه هــذا فانه سرعان ما يتحد بجسده المــادى ويعود للحياة . ويحاول فيما بعد أن يحكى للآخرين ولكنه يضطرب عند ذلك . انه مبدئيا لا يجد الكلمات المتــداولة بين البشر قادرة على وصف هذه الرواية غير الأرضية . ويكتشف أيضــا أن الآخرين يسخرون منه ولذلك فهو يتوقف عن الحديث . ولكن هــذه التجربة تؤثر فى حياته تأثيرا عميقا خاصة وجهات نظره عن الموت وعلاقته بالحيــاة) .

من المهم أن نضع فى فكرنا أن القصة السابقة لا نعنى بها عرضــا لتجربة أى شخص ، ولكنها نموذج تقريبي للعناصر العادية التى وجدتها فى العديد من الروايات ، وأنا أقدمها هنا كفكرة مبدئية عامة لمــا يمكن أن يمر به الانسان عند الموت . ولمــا كانت هذه خلاصة أكثر من رواية حقيقية ، فاننى فى نفس هذا الفصل من الكتاب سأناقش بالتفصيل كل عنصر مع تقديم أمثلة عديدة .

وقبل ذلك هناك القليل من الحقائق التى يتحتم ترتيبها بهدف وضع بقية ما اعرضه عليكم من تجربة الموت فى اطاره الصحيح .

١ ــ بالرغم من التشابه الشديد بين الروايات المختلفة فانه لا يوجد بينها روايتان متطابقتان تماما (بالرغم من أن الكثير متقارب جدا) .

٢ ــ لم أجد شخصا واحدا يقدم كل عنصر مستقلا عن التجربة الشاملة . وبالرغم من أن الكثيرين قدموا معظم العناصر (ثمانية أو أكثر

من مجموع العناصر وعددها خمسة عشر عنصرا) وقليلون هم الذين استطاعوا تقديم اثنى عشر عنصرا •

٣ ـ لا يوجد عنصر واحد للتجربة الشاملة يظهر فى كل قصة وعلى الرغم من هذا فان القليل من هذه العناصر يكاد يكون عاما •

٤ ـ لا يوجد عنصر واحد من النموذج التقريبى الذى عرضته آنفا ـ قد ظهر فى قصة واحدة لأن كل عنصر يظهر فى عدد من القصص •

٥ ـ ان الترتيب الذى يمر به الميت خلال الخطوات المختلفة التى ذكرتها باختصار ـ قد يختلف عن ذلك الذى أوردته فى نموذجى النظرى، فعلى سبيل المثال ذكر أفراد عديدون رؤية الكائن النورانى قبل أو عند لحظة خروجهم من الجسد المادى وليس كما ورد فى النموذج • وعلى أية حال فان الترتيب الذى تحدث به الخطوات فى النموذج انما هو ترتيب مثالى وكثيرا ما يحدث الخروج عنه •

٦ ـ الى أى مدى يبدو أن الميت يعتمد ـ من خلال التجربة الافتراضية ـ على اذا ما كان قد واجه موتا اكلينيكيا أم لا ؟ ـ واذا كان الأمر كذلك فما هى الفترة التى قضاها فى هذه الحالة ؟ عموما فان الأفراد الذين ماتوا يبدو أنهم يوردون قصصا اكثر زخرفا وتجارب أشمل بالقياس الى هؤلاء الذين اقتربوا فقط من حافة الموت • وهؤلاء الذين ماتوا لفترة أطول ، رواياتهم أكثر عمقا بالقياس الى هؤلاء الذين ماتوا فترة قصيرة •

٧ ـ لقد تحدثت الى أفراد قلائل من الذين أعلن موتهم ثم عادوا الى الحياة ولم يذكروا أيضا شيئا من هذه العناصر حقا ـ انهم يقولون أنهم لا يتذكرون شيئا بالمرة مما يتعلق بموتهم ـ وقد تحدثت الى أفراد

عديدين أعلن موتهم اكلينيكيا فى حـالات يفصل بين بعضها عـدد من السنوات ولم يوردوا شيئا عن بعض الحالات بينما أوردوا تجربة واضحة عن البعض الآخر •

٨ — يجب التأكيد على أننى أكتب مبدئيا عن التقارير والحكايات التى قدمها لى أناس آخرون لفظيا من خلال مقابلات شخصية ، وعلى ذلك فاننى عندما اذكر أن عنصرا معينا من التجربة المعنوية الشاملة لا يظهر فى قصة معينة فاننى لا أعنى بالضرورة التأكيد على أنه لم يحدث للشخص المقصود ، وانما أعنى أن هذا الشخص لم يذكر لى أنه حدث ، أو أنه لم يورده بوضوح بين ما ذكره من عناصر التجربة • والآن دعنا ننظر الى بعض هذه الخطوات والأحداث المتعلقة بتجارب الموت من خلال هـذا الاطـار •

مالا يعبر عنه

ان فهمنا العمومى للغة يعتمد على وجود خلفية واسعة من التجارب العادية التى يشارك فيها كل منا • ويترتب على هذه الحقيقة صـعوبة تقودنا الى التعقيد الواضح فى المناقشة القادمة • ان الأحداث التى عايشها هؤلاء الذين وصلوا الى حافة الموت انما تخرج عن نطاق تجاربنا العادية ولذلك فلابد أن نتوقع بعض الصعوبات اللغوية فى تفسير ما حدث لهم • وهذه هى القضية بايجاز : أن الأشخاص الذين عايشوا هـذه التجربة يعتبرونها تجربة لم يسبق لها مثيل ولا يمكن التعبير عنها •

لقد أشار الكثيرون الى أثر ذلك بأنه « لا توجد كلمات تعبر عما احاول أن اقوله » أو « ان ألفاظ اللغـة لا تسعفنى بالصفات وأفعـل التفضيل اللازمة لوصف هذه التجربة » • وقد عبرت لى احدى السيدات عن هذه الصعوبة بايجاز عندما قالت :

(اننى أواجه الآن صعوبة حقيقية فى محاولة سرد هذه التجربة لأن جميع الكلمات التى أعرفها لها ثلاثة أبعاد ، وبينما أصف هـذه التجربة كنت أفكر « حسنا •• عندما كنت أدرس الهندسة ذكروا لى دائما أن هناك ثلاثة أبعاد فقط وقبلت ذلك دائما ولكنهم كانوا مخطئين فهنـاك أبعاد أكثر من ذلك » • وبالطبع فان عالمنا ــ الذى نعيش فيـه الان له ثلاثة أبعاد ــ اما العالم الآخر فمن الواضح أنه ليس كذلك • وهذا هو سبب صعوبة وصـفه بالكلمات المعبرة عن الأبعاد الثلاثة • هـذا هو ما أستطيع التعبير عنه ولاشـك أنه غير كاف فلست قادرة على وصف الصورة الكاملة) •

الاستماع الى الأنباء

ذكر العديدون أنهم سمعوا أطباءهم أو بعض الحاضرين يعلنون موتهم ــ وقد ذكرت لى احدى السيدات ما يلى :

(كنت فى المستشفى ، ولكنهم لم يعرفوا ما هو الشىء الذى أعانى منه ، ولذلك أرسلنى طبيبى الدكتور جيمس الى الدور الأرضى لفحص الكبد بالأشعة وهناك ربما استطاعوا تشخيص الحالة • فى البداية أجروا اختبارا فى الذراع للعقار الذى سيستخدمونه فوجدوا عندى حساسية شديدة للعقار ولكن بدون رد فعل ولذلك مضوا فى عملهم • وعنـدما استعملوا العقار سمعت أخصائى الأشعة يذهب الى التليفون ويقول : « يا دكتور جيمس لقد قتلت مريضتك مسز مارتن » ولم أشـعر بأننى ميتة • حاولت أن أتحرك أو أجعلهم يعرفون ولكننى لم أستطع • وعندما كانوا يحاولون اعادتى الى الحياة سمعتهم يذكرون عددا من السنتيمترات المكعبة يعطونها لى من مادة لا أذكر اسمها ولكننى لم أشعر بالابر التى تدخل فى جسمى بل أننى لم أحس بشىء بالمرة وهم يلمسوننى) •

وفى تجربة أخرى أصيبت احدى السيدات التى تعانى من اضطراب القلب بأزمة قلبية أودت بحياتها تقريبا • قالت :

(فجأة داهمتنى آلام شديدة فى الصدر كما لو أن سيرا من الحديد يلتف حول الجزء الأوسط من صدرى ويعتصره • وسمع زوجى وأحد أصدقائنا صوت سقوطى فأسرعا لمساعدتى • وجدت نفسى فى ظلام عميق سمعت صوت زوجى من خلاله كما لو كان يأتى من بعيد جدا وهو يقول: « انه الموت • لقد ماتت هذه المرة » • وأيقنت أنا ذلك • انه الموت بالفعل) •

ويقول شاب كان قد مات على أثر حادث سيارة :

(لقد سمعت امرأة هناك تقول : « هل مات ؟ » فيرد عليها آخر : « بالطبع مات ») •

ان التقارير التى من هذا النوع تتطابق تماما مع ما يذكره الأطباء والأشخاص الذين حضروا الموقف • وعلى سبيل المثال ذكر لى أحد الأطباء ما يلى :

(كانت احدى مريضاتى مصابة باضطراب فى القلب قبل أن نقوم أنا وجراح آخر باجراء عملية لها • لقد كنت حاضرا ورأيت انسان العين يتسع وحاولنا أن نعيدها الى الحياة بعض الوقت ولكننا لم ننجح ولذلك أحسست أنها ماتت فقلت للطبيب الآخر الذى كان يعمل معى « علينا أن نحاول مرة أخرى ثم نتوقف » ولكننا فى هذه المرة الأخيرة استطعنا أن نجعل القلب ينبض وبدأت تفيق • وفيما بعد سألتها عما تذكر عن موتها ــ فقالت أنها لا تتذكر الكثير سوى أنها سمعتنى أقول « علينا أن نحاول مرة أخرى ثم نتوقف ») •

مشاعر السلام والهدوء

يصف الكثيرون مشاعر سارة وأحاسيس بهيجة خلال المراحل الأولى من تجاربهم • وقد حدث بعد تعرض رجل لاصابة شديدة فى الرأس أن أصبح بين الحياة والموت ـ يقول :

(عند حدوث الاصابة شعرت بومضة ألم سريعة ولكن سرعان مازال الألم وغمرنى الاحساس بأننى أطفو فى فضاء مظلم • وكان اليوم شديد البرودة ولكننى بينما كنت فى هذا الظلام لم اشعر الا بالدفء والراحة القصوى التى لم أقابلها فى حياتى كلها • وتذكرت أننى فكرت فى نفسى قائلا : « لابد أننى ميت ») •

وتقول احدى السيدات التى أعيدت الى الحياة بعد أزمة قلبية :

(بدأت أستمتع بأعذب المشاعر ، ولم أشعر بشيء الا السلام والراحة والاطمئنان • انه هدوء شامل •• لقد شعرت بانقضاء كافة متاعبى وفكرت فى نفسى قائلة : « حسنا •• ياله من مكان هادىء ومفعم بالسلام •• اننى لا أشعر بالأذى مطلقا ») •

ويذكر رجل آخر ما يلى :

(سرعان ما غمرنى احساس لطيف بالراحة والسلام •• كان احساسا طيبا ، وعاينت ذلك السلام الداخلى) •

وهناك رجل آخر مات بعد المعاناة من الجراح فى فيتنام يصف احساسه عندما تلقى الضربة قائلا :

(راحة كاملة • لم يكن هناك أى ألم • لم أشعر بمثل هذا الاسترخاء فى حياتى كلها • كنت مستريحا وكل مشاعرى طيبة) •

الضجيج

وفى حالات كثيرة ذكر البعض مشاعر صوتية غير عادية كانت تحدث عند أو قرب الموت • وكانت أحيانا غير سارة ويصف رجل مات لمدة عشرين دقيقة خلال عملية جراحية فى البطن هذه المشاعر قائلا :

(سمعت ضجة ذات أزيز شديد تصدر من داخل رأسى وتجعلنى لا أشعر بالراحة • ولن أنسى هذه الضجة أبدا) •

وتذكر سيدة أخرى ما سمعته عندما فقدت الوعى قائلة :

(رنين مرتفع يمكن وصفه بأنه أزيز وأصبحت فى حالة من الدوران الشديد) •

وقد سمعت من يصفون احساس الضيق هذا بأنه دقات عالية الصوت أو زئير أو انفجار أو صوت مثل صفير العاصفة وفى حالات أخرى بدت المشاعر الصوتية تأخذ شكل موسيقى حالمة ، وعلى سبيل المثال فان رجلا أعيد الى الحياة بعد اعلان موته لدى وصوله المستشفى ذكر انه خلال تجربة الموت أحس بما يلى :

(سمعت ما بدا لى أنه أجراس تدق خلال طريق طويل كما لو كانت تحملها الرياح •• كان صوتها مثل أجراس الريح اليابانية وكان هذا الصوت هو الوحيد الذى استمعت اليه ما بين الحين والآخر) •

أما احدى السيدات التى ماتت تقريبا بسبب نزيف داخلى ناتج عن جلطة دموية فتقول :

(عندما تهاويت بدأت أستمع الى موسيقى غير عادية لها جلال عميق •• انها فى الحقيقة نوع رائع من الموسيقى الرفيعة) •

النفق المظلم

غالبا ما يصاحب حدوث الضجة احساس بالانزلاق السريع خــلال فضــاء مظلم • وقد استخدمت كلمات مختلفة لوصف هــذا الفضاء • سمعتهم يصفونه بأنه مغارة أو بئر أو حوض عميق أو حوش أو نفــق أو مدخنة أو فراغ أو خلاء أو أنبوبة واسعة او وادى أو أسطوانة •

وبالرغم من المصطلحات المختلفــة التى يستعملونها يتضــح أنهم يحاولون جميعا التعبير عن فكرة واحدة • دعنا ننظر فى قصتين يبدو من خلالهما مصطلح النفق واضحا :

(حدث ذلك لى عندما كنت صبيا عمره تسع سنوات أى منذ سبعة وعشرين عاما مضت ، ولكنه كان مؤثرا بحيث اننى لم أنسه طيلة حياتى • بعد ظهر أحد الأيام شــعرت بالغثيان الشــديد وحملونى الى أقــرب مستشفى • وعندما وصلت قرر الأطباء تخديرى • لمــاذا ؟ لا أدرى • ربما لأننى كنت صغير السن • وفى تلك الأيام كانوا يستعملون الأتير فأعطونى جرعة بواسطة قطعة قماش مبللة وضعوها على أنفى • وقــد علمت فيما بعد أنه بمجرد استنشاق الأتير توقفت ضربات قلبى • ولم أكن أعرف حينــذاك ما حــدث لى ، ولكننى دخلت تجربة مثــيرة • وأول ما سأصفه الآن هو ما شعرت به من ضجة منتظمة الايقاع ، ثم تحركت خلال ذلك المكان الطويل المظلم الموحش • لقد بدا مثل أنبوبة واسعة أو ما شابه ذلك • اننى لا أستطيع وصفه تماما • ولكننى كنت أتحرك طول الوقت مع هذه الضجة التى تدق) •

القصة الأخرى يوردها شخص آخر قائلا :

(كنت أعانى من حساسية شديدة ازاء البنج وبمجرد أن استنشقته

شعرت بتوقف الجهاز التنفسى • وما تبع ذلك حدث فى سرعة عجيبة •
لقد دخلت خلال هذا الفراغ بسرعة رهيبة ويمكنك أن تسميه نفقا •
وشعرت وأنا أمضى خلال هذا النفق فى سرعة رهيبة كما لو اننى أركب
قطار المفاجآت الدائرى بمدينة الملاهى) •

وهناك رجل آخر اقترب من حافة الموت خلال مرض شديد فجحظت
عيناه وبرد جسمه ويصف هذه الحالة قائلا :

(مررت بفراغ شديد الظلام من الصعب أن أصفه ولكننى شعرت
كما لو أننى كنت أتحرك فى فضاء من خلال الظلام ، وكنت فى كامل
الوعى • انه يشبه أسطوانة مفرغة من الهواء وأحسست بأننى فى موضع
الانتظار أو فى منتصف الطريق ما بين هذا العالم وعالم آخر) •

ورجل آخر مات عدة مرات بعد حروق شديدة واصابات خطيرة ــ
يقول :

(عانيت من صدمة عصبية لمدة أسبوع وخلال كل هذه الفترة
انزلقت خلال هذا الفراغ ويبدو أننى بقيت هناك فترة طويلة طافيا فى
الفضاء • لقد استغرقت فى هذا الفراغ وتوقفت عن التفكير فى أى شىء
آخر) •

وهناك رجل كان يعانى من الخوف من الظلام قبل أن تحدث له
هذه التجربة خلال الطفولة ــ حيث توقف قلبه عن النبض بسبب اصابات
داخلية نتجت عن حادث دراجة ــ يقول :

(شعرت بأننى أتحرك خلال واد عميق ومظلم ، وكان الظلام دامسا
وكثيفا لدرجة أننى لم أر شيئا ، ولكن هذه التجربة كانت أعظم
ما يستطيع الانسان أن يمر به) •

وهناك سيدة كانت تعانى من الالتهاب البريتونى ـ تقول :

(استدعى الدكتور أخى وأختى لرؤيتى للمرة الأخيرة ، وقد أعطتنى الممرضة حقنة لتساعدنى على الموت بسهولة ، وبدأت الأشياء التى حولى فى المستشفى تتباعد رويدا رويدا . وعندما انحسرت دخلت فى ممر ضيق وشديد الظلام وبدا أننى أنحشر فيه ثم أخذت أنزلق تدريجيا) .

وهناك سيدة أخرى اقتربت من المـوت بعد حادث مرور . قالت خلال أحد العروض التلفزيونية :

(غمرنى احساس بالسلام الكامل والهدوء التام . لم أحس بأى خوف ، ووجدت نفسى فى نفق من دوائر متحدة المركز وبعد ذلك شاهدت برنامجا تليفزيونيا يسمى : نفق الزمان — The time tunnel — حيث يعود الناس الى أحداث المـاضى من خلال هذا النفق الحلزونى .. حسنا . هذا هو أقرب تصوير للنفق الذى وجدت نفسى فيه) .

وهناك رجل آخر كان على حافة الموت يقص رواية أخرى تتفق مع معتقداته الدينية فيقول :

(وفجأة وجدت نفسى فى واد مظلم وعميق وبدا كما لو كان هناك ممر أو طريق وأنا أندفع فيه .. وفيما بعـد تحسنت حالتى وراودتنى هذه الفكرة « اننى أعرف الآن ما قصده الكتاب المقدس بعبارة : وادى ظل الموت ـ لأننى كنت هناك ») .

الخروج من الجسد

من الحقائق المسلم بها أن معظمنا يتعرف على نفسه معظم الوقت عن طريق جسده المـادى ، ونعرف بالطبع أن لنا عقولا أيضـا ، ولكن يبدو للكثيرين أن عقولنا أكثر قابلية للزوال عن أجسادنا . ان العقـل

لا يعدو أن يكون تأثير النشاط الكهربى والكيماوى الذى يحدث فى المخ والذى هو فى نفس الوقت جزء من جسدنا المـادى • ومن المسـتحيل لدى الكثيرين تصور حـدوث شىء غير مرتبط بالجسد المـادى الذى تعودوا عليـه •

ولم يكن الأشخاص الذين قابلتهم مختلفين عن الناس العاديين من هذه الناحية • وهذا يفسر لمـاذا كان الشخص الميت بعد انزلاقه السريع عبر النفق المظلم يواجه تلك المفاجأة المذهلة • لأنه عند هذه النقطة يجد نفسه ينظر الى جسده المـادى من نقطة خارج هذا الجسـد كما لو كان متفرجا أو شخصا ثالثا فى الحجرة أو مراقبا للأشـكال والأحداث من خارج خشبة المسرح ، أو ينظر الى فيلم سينمائى • دعنا الآن ننظر الى جزئيات بعض الحكايات التى تصف هذه الروايات الشـاذة والمتعلقة بالخروج من الجسد :

(كان عمرى سبعة عشر عـاما ، وكنت أعمـل مع أخى فى حديقة ملاهى • وبعد ظهر أحد الأيام رغبنا فى أن نذهب للسباحة • وكان هناك عدد قليل من الناس الذين شاركونا فى الذهاب • قال أحدهم : « دعونا نعبر البحيرة » وكنت قد فعلت ذلك من قبل فى عدة مناسبات ولكننى فى هذه المرة لسبب لا أعرفه غصت فى وسط البحيرة • وأخذت أطفو وأغوص وشعرت فجأة كما لو أننى خرجت من الجسد وطفوت فى الفضاء بمفردى بالرغم من أننى كنت فى مكانى وعلى نفس المستوى ورأيت جسـدى فى المـاء على بعد ثلاثة أو أربعة أقـدام يطفو ويغوص • ونظرت الى جسدى من الخلف ثم استدرت قليلا الى الجانب الأيمن وشعرت كما لو أن لى جسما كاملا حتى عندما كنت خارج الجسد • وخالجنى شـعور فضائى لا أستطيع وصفه •• لقد أحسست أننى مثل الريشة) •

وتقول احدى السيدات :

(منذ عام مضى نقلت الى المستشفى بسبب اضطراب فى القلب ، وفى اليوم التالى عندما كنت نائمة بسرير المستشفى ، أحسست بألم شديد فى الصدر ، فضغطت على الجرس بجوار السرير لاستدعاء الممرضات فأتين سريعا وبدأن العمل فى اسعافى • كنت غير مستريحة للنوم على ظهرى فانقلبت وعند ذلك استحال التنفس وتوقفت ضربات القلب وسمعت الممرضات يصرخن : « أسعفوها •• أسعفوها •• » وبينما هن كذلك شعرت بنفسى أخرج من جسدى ثم بدأت أرتفع ببطء الى أعلى • وفى أثناء صعودى رأيت عددا أكثر من الممرضات يأتين الى الحجرة جريا ولابد أنه أصبح هناك حوالى دستة منهن • وكان طبيبى يقوم بجولته فى المستشفى فاستدعينه ورأيته يحضر أيضا وعجبت لما يفعله هنا • وتحركت نحو كشاف الضوء ورأيته من الجانب ثم توقفت وعدت أسبح يمينا تحت السقف وأنظر الى أسفل لقد شعرت كما لو أننى كنت قطعة من الورق نفخها شخص نحو السقف •

وشاهدتهم يقومون بانعاشى هناك • كان جسدى مسجى على السرير ، وهم جميعا واقفين حوله • وسمعت ممرضة تقول : « يا الهى •• لقد رحلت » بينما انحنت أخرى لتسعفنى بالنفخ فى فمى • وكنت أنظر الى مؤخرة رأسها وهى تفعل ذلك ، ولن أنسى منظر شعرها وتسريحته المقصوصة القصيرة • وبعد ذلك رأيتهم يدحرجون تلك الآلة الى داخل الحجرة ووضعوا الصمامات التى تحدث الصدمات الكهربائية على صدرى • وعندما قاموا بتشغيلها رأيت جسدى يقفز بكامله خارج السرير من الجهة اليمنى ، وسمعت كل عظمة فى جسمى تقرقع وكان ذلك أشق ما فى العملية كلها • وعندما كنت أراهم من أعلى وهم يقرعون على

صـــدرى ويدلكون يدى وساقى قلت فى نفسى : « لمـــاذا يتسببون فى هذه المضايقات الكثيرة ؟ » اننى الآن فى أحسن حال ») •

ويقول متحدث شـــاب :

(منذ حوالى عامين وعندما كان عمرى تسعة عشر عاما ، أخـــذت فى سيارتى صديقا لى لأوصله الى منزله وعندما وصلت الى ذلك التقاطع جنوب المدينة توقفت ونظرت فى كلا الاتجاهين ولكننى لم ألاحظ شيئا قادما فاندفعت فى التقاطع ، وعندما فعلت ذلك سمعت صـــديقى يصرخ بأعلى صوته • وعندما نظرت رأيت نورا مبهرا كان عبارة عن الكشافات الأمامية لسيارة تتقدم نحونا بسرعة ــ وسمعت ذلك الصوت الرهيب صوت جانب السيارة وهو يتحطم ــ وفى طرفة عين وجدت نفسى أدخل فى ظلام حالك وفضاء محصور • حدث كل ذلك بسرعة ووجدت نفسى طائرا لمسافة خمسة أقدام وعلى بعد حوالى خمس ياردات من السيارة ، وسمعت صدى الصدام وهو يضمحل • ورأيت الناس يأتون مسرعين ويتزاحمون حول السيارة ورايت صديقى يخرج من السيارة منهارا ، ورأيت جسدى داخل الحطام محاطا بكل هـــؤلاء الناس وهم يحاولون اخراجه • كانت قدماى ملتويتين والدم يغطى المكان كله) •

وكما يتخيل الانسان فان بعض الأفكار والمشـــاعر الغريبة تدور بأذهان الأشـــخاص الذين يواجهون هـــذا المـــأزق • ان الكثـــيرين لا يتقبلون فكرة خروجهم من أبدانهم لدرجة أنهم حتى وهم يعيشـــون هذه التجربة يشعرون بالحرج التام ولا يربطون بينها وبين الموت لفترة قصيرة ، ويندهشون لمـــا يحدث لهم ، لمـــاذا يرون أنفسهم فجأة وهم يقفون كمتفرجين على مسافة قريبة ؟

وتختلف ردود فعل الاحساس بهذه الحالة الغريبة • فيقرر بعض

الناس أنهم يشعرون فى البداية برغبة يائسة فى العودة لأجسادهم ولكنهم لا يعرفون كيفية ذلك • ويقرر آخرون أنهم أحسوا بالخوف بينما يقرر البعض الأخير حدوث ردود فعل ايجابية نحو هذا المـأزق كما فى القصة التاليـة :

(مرضت مرضا شـديدا واحتجزنى الطبيب فى المستشفى • وفى الصباح المعهود تجمعت حولى سـحابة رمادية وخرجت من جسـدى وغمرنى شعور بالطفو وأنا أجد نفسى خارج بدنى ، ونظرت الى الخلف فرأيت نفسى مسجى على السرير أسفل منى ولم أشـعر بأى خوف • كان هناك هدوء وسلام وصفاء • لم أنفعل أو أشعر بالخوف بل غمرنى شـعور الهـدوء ولم يكن الأمر مثيرا للفزع • أحسست أننى فى حالة الاحتضار وأننى اذا لم أدخل جسدى مرة أخرى فلابد أن أكون ميتا) •

وحيث أن مواقف الأشخاص تختلف حيال أجسادهم التى يخرجون منها فانه من العادى ان يتحدث الواحد منهم عن مشاعره ازاء جسده • وهذه احدى السيدات التى كانت طالبة تمريض أثناء مرورها بهـذه التجربة تعبر عن خوفها الواضح فتقول :

(انه نوع من الفكاهة •• أعرف ذلك • ولكنهم حاولوا فى مدرسة التمريض أن يقنعونا بالتبرع بأجسادنا لأغراض العلم •• حسنا •• بينما كنت أراقبهم وهم يحاولون اعادة التنفس الى جهازى التنفسى ، كنت أفكر قائلة لنفسى : « اننى لا أريدهم أن يستخدموا هذا الجسد كجثمان للتجـارب ») •

وقد سمعت شخصين آخرين يعبران عن نفس هذا الاهتمام عندما وجد كل منهما نفسه خارج جسده وكان كل منهما ينتمى الى مهنة الطب، أحدهما طبيب والأخرى ممرضة •

وفى حالة أخرى اتخذ هذا الاهتمام شـكل الأسف • توقف قلب شخص عن النبض بعد سقطة تمزق جسده خلالها بشدة • وهو يصف الحالة قائلا :

(أتذكر أننى كنت أرقـد على السرير هنـاك وكنت أرى السرير والطبيب يعمل فى جسدى • لم أفهم الموقف ولكننى نظرت الى جسدى المسجى على السرير ، وشعرت شعورا رديئا عندما رأيت التشويه الذى حدث له) •

وذكر كثيرون انهم أحسوا بمشاعر الغرابة نحو أجسادهم كما هو واضح من القصة التالية :

(اننى متأكد أننى لم أعرف أننى أصبحت أشبه الصبى • لقد تعودت أن أرى نفسى فى الصـور الفوتوغرافية او من الأمام فى مرآة وكلاهما شكل مسطح ، ولكن المفاجأة هى أننى أو على الأصح جسمى كان كما رأيته ــ ولم أكن أراه بوضوح من على بعد خمسة أقدام • لقد استغرقت بعض الوقت فى التعرف الى نفسى) •

وفى قصة أخرى اتخذ هذا الشعور بالغرابة شكلا مضحكا فيحكى أحد الأطباء كيف أنه أثناء موته كان يقف بجوار السرير ينظر الى جثته التى تحولت الى اللون الرمادى الباهت الذى تتخذه الجثث بعد الموت • وكان يحاول يائسا ان يقرر ما يجب عمله • لقد قرر على سبيل المحاولة أن يمضى بعيدا لأنه كان يحس بالضيق وتذكر أنه عندما كان طفلا حكى له جده قصص الجنيات ولكنه على خلاف المتوقع « لم يحب أن يتواجد بجوار هذا الشىء الذى يبدو أنه جسد ميت • حتى لو كان هذا الجسد هو جسده » •

ومن الناحية الأخرى ذكر لى البعض أنهم لم يشعروا بأى شىء نحو أجسادهم • وعلى سبيل المثال أصيبت احدى السيدات بنوبة قلبية وتأكد لها موتها فشعرت بنفسها تنزلق من جسمها خلال الظلام وتتحرك مبتعدة بسرعة ــ فتقول :

(لم أنظر الى الخلف لكى أرى جسدى ، كنت أعرف أنه هناك •• حسنا •• وكان يمكن أن أراه لو نظرت اليه ، ولكننى لم أرغب فى رؤيته على الأقل لأننى أعرف أننى فعلت كل ما كان بوسعى أن أفعله أثناء حياتى وأنا الآن أحول انتباهى نحو هــذا المجال الغريب • لقد شــعرت أننى حينما انظر الى الخلف لكى أرى جسدى انما أنظر الى المــاضى ، ولم يكن فى نيتى أن أفعل ذلك) •

وهناك قصة مشابهة لفتاة خرجت من الجسد بعد أن حدثت لهــا عدة اصابات فى حطام شديد فتقول :

(كنت أرى جسدى وقد تكوم فى السيارة بين الأفراد الذين تجمعوا حوله ولكننى لم أحس بشىء نحوه • لقد بدا لى شخصا مختلفا أو شيئا مهملا •• كنت أعرف أنه جسدى ولكننى لم أشعر بشىء نحوه) •

وبالرغم من الانقباض الناتج عن حالة الخروج من الجســد فان الموقف مفاجىء بالنسبة للشــخص الذى يموت حتى أنه يستغرق بعض الوقت قبل أن يفهم معنى التجربة التى يمر بها • وربما قضى بعض الوقت خارج الجسد محاولا فى يأس ان يتفهم الأشياء التى تحدث حوله والتى تتسابق فى عقله وذلك قبل أن يعرف أنه يموت أو أنه ميت بالفعل •

وعندما يعرف ذلك ربما يتعرض لضغط المشــاعر القوية وتجتاحه الأفكار المزعجة ولذلك فان احدى السيدات عندما عرفت هذا الموقف صاحت قائلة : « اننى ميتة ! • ياله من شىء لطيف ! • » •

ويذكر أحد الرجال أنه عنـدما عرف ما جرى واتته فـكرة قائلة : « لابد أن هذا هو ما يسمونه الموت » • وحتى عندما تتضح الحقيقة فانه يصحبها ارتباك وربما مقاومة شديدة لقبول الوضع الجديد •

وقد قررت سيدة شابة مثل هذه المشاعر فى قصة مؤثرة عندما قالت :

(لقد فكرت فى أننى ميتة ، ولم أشعر بالأسف لهذا الموت ولكننى فقط لم أتصور المكان المفروض أن أذهب اليه فقد كان تفكيرى وشعورى يماثل ما كنت عليه فى الحياة • ولكننى لم اتصور كل ذلك ، وظللت أفكر: « الى أين سأمضى ؟ وماذا سـأفعل ؟ » و « يا الهى ، اننى ميتـة ! أنا لا أستطيع أن أصدق ذلك » • واذا كنت لا تصدق فاننى لا أفـكر فى الموت لأن الانسان لا يرى الموت الا قادما الى غيره من الناس ، وبالرغم من أنك تعرفه الا أنك لا تعتقد فيه تماما • ولذلك استقر رأيى على الانتظار حتى تنتهى كل هذه الاثارة • وحملوا جسدى بعيـدا وحاولت أن أرى ما اذا كان فى استطاعتى التنبؤ بالمكان الذى سأذهب اليه من هناك) •

وفى حالة او اثنتين من الحالات التى درستها وجدت أن الموتى الذين فارقت أرواحهم أو عقولهم أو وعيهم (أو أى تسـمية يمكن اطلاقها) أجسادهم ، يقولون أنهم لم يشعروا بأنهم كانوا محصورين فى اى نوع من الأجساد بعد هذا الخروج • كانوا يشعرون أن أذهانهم أصبحت فى غاية الصفاء • يقول أحدهم أنه شعر خلال هذه التجربة كما لو كان «قادرا على رؤية كل ما حولى بما فى ذلك جسدى المسجى على السرير بكامله ــ دون أن أشغل أى فراغ » • ويبدو من ذلك أنه كان فى كامل الوعى • ويقول البعض الآخر أنهم لا يستطيعون أن يتذكروا ما اذا كانوا يشغلون جسـدا أو لا يشغلون وذلك بعـد انطلاقهم من أجسـادهم المـادية لأنهم كانوا منبهرين بالأحداث المحيطة بهم •

ويقرر غالبية الأشخاص ما هو أبعد من ذلك فيقول كل منهم أنه وجد نفسه فى جسد آخر بمجرد انطلاقه من الجسد المادى بالرغم من أنه كان فى منطقة لا يمكن التعامل معها بسهولة • وهذا الجسد الجديد هو احد معالم الموت العديدة التى تقف اللغة عاجزة عن وصفها • وقد لحظت أن كل من حدثنى عن هذا الجسد الجديد قد وصل الى نقطة عجز عندها عن الاستمرار وقال : « لا أستطيع أن أصفه » أو ذكر ملاحظة تحمل نفس هذا المعنى •

وعلى ذلك فان قصص هذا الجسد الجديد تتشابه كثيرا • وبالرغم من أن الأشخاص مختلفين ، واستعملوا كذلك عبارات مختلفة ، وعرضوا مفاهيم مختلفة ، فانه يبدو أن هذه النماذج المختلفة فى التعبير قد دخلت نفس الميدان • وتتفق التقارير جميعها فيما أوردته من الخصائص العامة للجسد الجديد ، ولذلك قررت أن أطلق على هذا الجسد اصطلاحا استعمله اثنان من المتحدثين ووجدت أنه أحسن تعبير ولذلك فأنا أسميه من الآن « الجسد الروحى » •

ان الأشخاص الذين يموتون هم أول من يتنبه الى حقيقة هذه الأجساد الروحية التى يتحركون من خلالها لأنه بمجرد انطلاقهم من أجسادهم المادية يجدون أنفسهم بالرغم من كل المحاولات اليائسة ـ عاجزين عن وصف هذه الأجساد للآخرين ولا يبدو كذلك أن أحدا يستمع اليهم • ونستطيع ان نتبين ذلك من قصة السيدة التى كانت تعانى من متاعب فى الجهاز التنفسى ونقلوها الى غرفة الطوارىء حيث جرت محاولة لاعادتها للحياة • تقول :

(رأيتهم يجرون عملية التنفس الصناعى ، وكان الموقف غريبا ، لم أكن مرتفعة جدا بل كنت كمن يستند الى قاعدة عامود ، ولكننى لست

مرتفعة عنهم كثيرا ، وانما بالقدر الذى يسمح لى بالنظر من فوق أكتافهم ، وحاولت ان أتحدث اليهم ولكنهم لم يسمعونى) •

وبمجرد أن يعرف صاحب الجسد الروحى أن صوته غير مسموع للآخرين يكتشف أيضا أنه غير مرئى لهم • وربما نظر الأطباء أو الممرضات أو غير هؤلاء من المتجمعين حول جسده المادى ـ نحوه مباشرة وهو فى جسده الروحى الا أنه لا تصدر عنهم أية بادرة توحى بأنهم قد رأوه • ويكتشف أيضا أن جسده الروحى يفتقد الصلابة فتظهر الأشياء المادية المحيطة وهى تتحرك من خلاله بسهولة بينما هو لا يستطيع الامساك بأى شىء أو شخص يحاول ان يلمسه • يقول واحد منهم :

(انحنى الأطباء والممرضات فوق جسمى محاولين أن يعيدونى الى الحياة ، وفى نفس الوقت الذى حاولت فيه أن أقول لهم : « دعونى وحدى كل ما أريده هو أن تتركونى وحدى • كفاكم انحناء فوقى » • ولكنهم لم يسمعونى ، ثم حاولت أن أمنع أيديهم من الدق فوق جسدى ولكن شيئا لم يحدث • لم أعرف الى أين أمضى ، ولم أعرف أيضا حقيقة ما يجرى ولكننى لم أستطع أن أحرك أيديهم • ويبدو أننى كنت ألمس أيديهم محاولا أن أبعدها ولكننى كلما ضربت أيديهم وجدتها لا تزال فى مكانها دون أن تتأثر بالضربات ولا أعرف ما اذا كانت يداى تخترقان أيديهم أو تدوران حولها أو ماذا ـ لا أدرى لأننى لم أشعر بأى ضغط على أيديهم وأنا أحاول ابعادها) • ويقول آخر :

(وتدفق الناس من جميع الاتجاهات للوصول الى الحطام • وكنت أراهم من موقعى فى وسط ممرضين • ولكننى لا اظن أنهم كانوا يروننى أثناء تدفقهم بل حرصوا على أن ينظروا الى الأمام • وعندما كانوا يقتربون كنت أحاول أن أتنحى بعيدا أو أفسح لهم الطريق ولكنهم كانوا يخترقون جسدى الروحى) •

ولم يختلف اثنان فى القول بأن هذا الجسد الروحى كان عديم الوزن، ولاحظ الكثيرون ذلك لأول مرة عندما وجدوا أنفسهم يسبحون طفوا الى أعلى نحو سقف الغرفة أو فى الهواء ، وقد وصف الكثيرون «شعور الطفو» بأنه « احساس بانعدام الوزن » أو « شعور بالتدفق خلال تيار جارف » وذلك للتعبير عن طبيعة اجسادهم الجديدة .

ومن الطبيعى أن يكون لنا كبشر العديد من أساليب الادراك التى تكشف لنا عن وجود الأعضاء المختلفة للجسم فى لحظة معينة وما اذا كانت تتحرك أم لا وذلك عن طريق حاستى الرؤية والتوازن فى الجسم : ولكن هناك حاسة أخرى هى حاسة التحرك[1] التى تدلنا على الحركة أو توتر الأعصاب والمفاصل والعضلات . ونحن عادة لا ندرك الأحاسيس التى تأتى الينا من خلال حاسة التحرك لأن ادراكنا لها غير ظاهر من خلال الاستعمال المستمر . وأشك فى أن أحـــدا يستطيع أن يتنبه الى غيابهـــا بسرعة اذا ما توقفت عن العمل . وفى الحقيقة فان القليل من الأشـــخاص هم الذين ابلغونى ادراكهم فقدان الاحساس البدنى بثقل الجسم والحركة والاحساس بالكيان عندما كانوا فى أجسادهم الروحية .

ان خصائص الجسد الروحى التى تبدو قاصرة يمكن اذا أغفلنا هذا القصور ان ننظر اليها بهذه الطريقة : الشخص الذى فى الجسد الروحى فى موضع ممتاز بالنسبة للأشخاص العاديين الذين يحيطون به لأنه يستطيع أن يراهم ويسمعهم ولكنهم لا يستطيعون أن يسمعوه أو يروه (الكثير من

---

(١) حاسة التحرك kinesthetic sense اصطلاح فى علم وظائف الأعضاء يطلق على ادراك الفرد لتوازن الجسم ووزنه ومواضعه وحركاته العضلية ، وينشأ احساس التحرك من منتهيات عصبية فى مختلف أجزاء الجسم كالعضلات والمفاصل ــ انظر : المعجم العلمى المصور ــ اعداد دائرة المعارف البريطانية ــ ص ٣٣٠ ــ (المعرب) .

الجواسيس يتمنون أن يعيشوا فى هذه الحالة) ، وعلى ذلك فان الواحد منهم بينما يخيل اليه أن مقبض الباب يخترق يده عندما يلسمه فان الأمر لا يهمه كثيرا لأنه سرعان ما يكتشف أنه يستطيع المرور من خلال الباب المغلق • أما السفر فى هذه الحالة فهو سهل جدا لأن الأجسـام المـادية لا تشكل عائقا وبالتالى يصبح التحرك من مكان لآخر سريعا ويتم فى مثل لمح البصر •

وبالرغم من عـدم قدرة ذوى الأجسـام المـادية على ادراك ذوى الأجسام الروحية فان الذين مروا بهذه التجربة يتفقون على أن الجسـد الروحى شىء لا يمكن وصفه بالرغم من وجوده • كما يتفقون على أن له شكلا « أحيانا يشبه سحابة دائرية أو غير محدودة المعالم ولكن له نفس شكل الجسد المـادى » • وكذلك له سطوح بارزة تماثل أعضاء الجسم المـادى من اذرع وسيقان ورأس •• الخ وحتى عندما ذكر البعض أنه مستدير المعالم أوضحوا أن له أطرافا ونهايتين احداهما علوية والاخرى سفلية مع وضوح الأعضاء •

وقد سمعت وصف هذا الجسد الجديد من خلال حكايات عديدة ولكنها كلها تتفق فى النهاية على تكوين الشكل المذكور • أما الكلمات والعبارات التى استعملها الذين وصـفوه فانها تنـدرج تحت : سحابة ، ضباب ، دخان ، بخار ، شفافية ، سحابة مـن الألوان ، خط من الدخان أو نوع من الطاقة • وآخرون أعطوا أوصافا مماثلة لهذه الأوصاف •

وفى النهاية فان الجميع اتفقوا على خروج هذا الجسد الروحى عن نطاق الزمان ، فقال الكثيرون أنهم بالرغم من وصفهم دخولهم فى الجسد الروحى بأوصاف مادية (لأن اللغة البشرية تعبير عن الماديات المحسوسة) فان الزمان لم يدخـل فى نطاق تجربتهم مثلما يحدث فى الحيـاة المادية •

وسأقدم هنا مقتطفات من خمس مقابلات ورد خلالها ذكر هذه الأوصاف العجيبة للوجود فى الجسد الروحى :

(١ ــ عند أحد المنحنيات فقدت السيطرة على سيارتى فخرجت عن الطريق وطارت السيارة فى الهواء ومــا زلت أتذكر السماء الزرقاء وأنا أرى السيارة تغوص فى أخــدود عميق • وفى اللحظة التى خرجت فيها السيارة عن الطريق قلت لنفسى : « لقــد وقع لى حادث » وعند هــذه النقطة فقــدت احساسى بالزمــان وضاعت حقيقتى المادية فيما يتعلق بجسدي الذي فقدت الاحساس بوجوده • أما كيانى أو نفسى أو روحى أو أى تسمية أخرى تحب أن تطلقها • شعرت بأنها تنسلخ منى وتخرج من رأسى ولكنها لــم تكن شيئا يسبب الأذى • كــانت مجرد نوع من السمو والارتفاع فوق مستواى المادى •• أما كيانى فقد أحسست كما لو أن له كثافة ولكنها ليست كثافة مادية • انها شيء يشبه الأمواج أو أنها شيء غير عادي فى حقيقته قد انطلق خارجا •• انه شيء له وجــود كان صغيرا وشعرت بأن له شكلا دائريا غير واضح المعالم والحدود بحيث يمكن أن تدعوه : سحــابة •• انــه شيء يبــدو كما لو كان فى غلافه الخاص به ••

وبينما خرجت هذه السحابة من جسمى بدا أن لها طرفا كبيرا ظهر أولا ثم ظهر الطرف الصغير أخيــرا •• كنت أشعر حينذاك بشعور رقيق جدا • لم يكن هناك ضغط على جسدى المادي وكان هذا الشعور منفصلا تماما ، أما جسدى فلم اشعر بأن له وزنا •

أما أكثر جوانب التجربة اثــارة فهو اللحظة التى تعلق فيها كيانى فوق الجزء الأمامى من رأسى • كان يبــدو كأنه يريد أن يقرر الرحيل أو البقاء • وبدا وقتها كمــا لو أن الزمان قد توقف • وكــان كل شيء

يتحرك بسرعة فى بداية ونهاية الحادث • ولكن فى هذه اللحظة الخاصة توقف كل شيء حيث تعلق كيانى فوقى بينما كانت السيارة تندفع فوق الرصيف مع الاحساس بأنها استغرقت وقتا طويلا للوصول الى هناك • وعند هذه اللحظة لم أنشغل تماما بالسيارة أو الحادث أو جسمى المادى وانما انشغلت فقط بأفكارى الشخصية ••

ان كيانى الأن ليست له أبعـاد مادية ولكن لابد لى مـن وصفه باصطلاحات مادية • وفى استطاعتى أن أصفه بعدة طرق وبكلمات متعددة ولكن ليست هذه كلهـا دقيقة ، ومن الصـعب أن أقدم وصفا محكما • وأخيرا اصطدمت السـيارة بالأرض وتدحرجت بسرعة ولكـن اصاباتى تركزت فى التواء العنق وكدمة بأحد القدمين •

(٢ ــ عندما خرجت من الجسد المادى كان الموقف شبيها بخروجى من الجسد ودخولى فى شيء آخر • ولكننى لم أفكر فى أننى لا شيء •• انه جسد آخر بالفعل •• ولكنه ليس جسدا ماديا • انه مختلف قليلا فلم يكن شبيها بالجسد المادى تماما ، ولكن الأمر لم يكن خطيرا • كان لـه شكل ولكن بدون ألوان • وأعرف اننى حينذاك كان لا يزال لى مايمكن تسميته باليدين • لا استطيع أن أصف هذا الجسد لأننى كنت مشغولا بكل ما أحاط بى • ومع رؤيتى لجسمى المادى هناك لم أفكر فى نوعية الجسم الجديد الذى صرت فيه وبدا أن كل ذلك يجرى فى سرعة • أما الزمـان فلم يكن أحد عناصر الصورة ، ولكنه كان موجودا لأن الأشـياء كانت تمضى سريعا بعد الخروج من الجسد المادى •)

(٣ ــ أتذكر أننى نقلت الى غرفة العمليات وكانت الساعات القليلة التالية هى أحرج فترة فى الموقف كله • وفى أثناء هذه الفترة لحظت تعدد الدخول والخروج من جسدى المادى • وكنت أستطيع أن أراه من أعلى

مباشرة • ولكن بينما أفعل ذلك كنت فى جسد آخر ـ ليس ماديا ولكنه شيء أستطيع أن أصفه جيدا بأنه أحد مجالات الطاقة • واذا كان لابـد من وصفه بالكلمات فانني أقول أنه كان شفافا ، وروحيا ومتعارضا مـع الكيان المادى وله أجزاء مختلفة •)

(٤ ـ عندما توقف نبض قلبى شعرت كما لو كنت كرة مستديرة ولابد أن شكلى أصبح مستديرا قليلا مثل حرف B ـ وعلى كل حال فانني لا أستطيع أن أصفه لك تماما •)

(٥ ـ صرت خارج جسدى ناظرا اليه مـن على بعد حوالى عشر ياردات ولكننى كنت أفكر كما كنت أفعل فى حياتى المادية • أما المكـان الذى كنت أفكر فيه فهو تقريبـا على ارتفاع مثـل قامتى • لم أكن فى داخل جسد ، ولكننى أحسست بأننى داخل شيء مثل كبسولة أو كيان صاف ، لم أستطع ان أراه حقيقة لأنه كان شفافا ولكنه كما تخيلته وأنا بداخله ـ طاقة ـ ربما كان شبيها بكرة من الطاقة ، ولم أكن مدركـا لأية أحاسيس تنتمى الى الجسد المادى أو الحرارة أو ما شابه ذلك •)

وذكر آخرون فى حكاياتهم الموجـزة تمـاثل أجسادهم المادية مع أجسادهم الجديدة • وقد ذكرت لى احدى السـيدات أنها بينما كانت خارج جسدها « كنت لا أزال أشعر بشكل جسد كامل له أرجل وأذرع وكافة الأعضاء حتى عندما شعرت بانعدام الوزن • » اما احدى السيدات التى شاهدت محاولة اعادة الحياة لجسدها من نقطة تحت السقف فتقول :

(كنت لا أزال فى جسد ما •• كنت متمددة وأنظر الى أسفل •• لقد حركت قدمى وشعرت بأن أحدهما كان أكثر دفئا من الآخر •)

وحيث ان الحركة مقيدة فى هـذه الحالة الروحية فـان الكثيرين

يطلقون عليها اسم: التفكير • وحكى لى الكثيرون ممن عاشوا هـذه التجربة أنهم بمجرد أن تعودوا على أوضاعهم الجديدة بـدأوا يفكرون بطريقة أكثر صفاء وسرعة ممـا لو كانوا فى أجسادهم المـادية •• وعلى سبيل المثال ذكر لى رجل أنه بينما كان « ميتا » لاحظ أن :

(الأشياء التى كانت غير مستطاعة أصبحت الآن مستطاعة •• العقل فى صفاء •• انه وضع لطيف •• لقد أحاط عقلى بكل شىء وأوصلنى الى الاستنتاجات الدقيقة لأول مـرة بغير الحاجة الى عناء التفكير الكثير • وبعد لحظة أصبحت التجربة كلها ذات معنى بطريقة لا أعرفها •)

كانت عملية الادراك فى الجسد الجديد تشبه وأيضا تخالف الأدراك فى الجسد المادى • وكان الجسد الروحى أكثر تحديدا • كانت حاسـة التحرك غير موجودة •• وقد أخطرنى شخصان فى حكايتين أنه لم يكن لديهما الاحساس بالحرارة ، بينما أبلغنى الآخرون فى غالبية الحـالات الأخرى بوجود حالة من الدفء المريح ، ولكن لم يبلغنى أحد انه شـم أية روائح أو تذوق أية مذاقات عندما كان خارج جسده المادى •

ومن جهة اخرى فان الحواس المادية الأخرى المتعلقة بالرؤية والسمع بقيت على حالها فى الجسد الروحى ولكنها أكثر سموا وكمالا عما كانت عليه فى الحياة المادية • ويقول أحد الأشخاص أنه بينما كان « ميتا » بدت الرؤية عنده أكثر حدة وعلى حـد قوله : « لا اكـاد أعرف كيف استطعت أن أرى الى هذا المدى البعيد • » واحدى السيدات التى دخلت هذه التجربة تقول : ـ « بدا كما لو أننى استطيع النظر الى أى مكـان وفى كل مكان • » وأحسـن وصف محدد لهذه الظاهرة تجده فى هـذا الجزء من المقابلة مع احدى السيدات التى خرجت من جسدها على اثر حادث تقول :ـ

(كانت تجرى هناك أعمال كثيرة والناس يتراكضون حول سيارة الاسعاف • وكنت أعجب لما يفكرون فيه • كانت الحالة شبيهة بالتصوير السريع من خلال منظار خاص • وكان هذا المنظار جزءا منى أو من عقلى ورأيته ثابتا حيث أنا على بعد عدة ياردات من جسدى المادى • وعندما كنت أريد أن أرى أحدا بعيدا بدا لى هذا المنظار — الذى احسسته كجزء منى — مثل الرصاصة التى تنطلق نحــو الشخص المقصود • وتصورت حينذاك امكانية أن أكون فى موقع أى حدث بمجرد حدوثه •)

أما السمع فى هذه الحالة الروحية فيمكن تسميته بالتوافق • ويقول الكثيرون انهم لا يسمعون الأحداث المادية ولكن يبدو أنهم يستطيعون التقاط الأفكار من الأشخاص الذين حولهم ، وكما سنرى فيما بعد فــان هذا النوع من الانتقال المباشر للأفكار يمكن أن يلعب دورا فى المراحل التالية من تجارب الموت • واحدى السيدات تصفه كما يلى : —

(كنت أستطيع أن أرى كل الناس حولى وأفهم ما يقولون ، لــم أسمعهم حسيا كما أسمعك الآن ، ولكن الأمر كان يدور حول معرفتى بما يفكرون فيه ، ولكن فى عقلى فقط وليس حسب مفرداتهم اللغوية وكنت أستطيع أن ألتقط الصوت قبل أن تنطق به أفواههم •)

وأخيرا فان أحــد التقارير المثيرة يبين أنه حتى الدمار الشــديد للجسد المادى يؤثر عكسيا فى الجسد الروحى • وفى هذه الحالة فقــد رجل ساقه فى حادث ترتب عليه موته اكلينيكيا • وكان يعرف ذلك لأنه كان يرى جسده المحطم من مسافة قريبة بوضوح ، ويصف الحالة عندما كان خارج جسده كما يلى : —

(كنت أشعر بجسمى وكان كاملا •• أعرف ذلك • كنت أشعر بــه كاملا •• وكنت أحس أننى بكاملى هناك ، ولم يكن الأمر كذلك) •

فى هذه الحالة من عدم التجسد المادى ينفصل الانسان عن غيره من الناس • انه يستطيع أن يرى الناس الآخرين ويفهم أفكارهم تماما ولكنهم لا يستطيعون أن يروه أو يسمعوه • ان الاتصال مع بقية الناس الأحياء ينقطع تماما • وحتى ما يختص بحاسة اللمس غير متاح أيضا لأن الجسد الروحى يفتقد خاصية الصلابة • وعلى ذلك فانـه لا يدهشنا أن تبـدأ مشاعر الاحساس بالانعزال والوحـدة فى الظهور بعـد وقت قليل من الوجود فى هذه الحالة • وقد ذكر احد الرجال أنه كان يرى كل شىء حوله فى المستشفى ــ جميع الأطباء ، والمرضات وبقية الناس يقومون بأعمالهم ولكنه لا يستطيع الاتصال بأحد منهم بأى طريقـة • ولذلك : « كنت وحيدا يائسا • »

وقد وصف لى كثيرون المشـاعر الشديدة الخاصة بالوحدة التى أحاطت بهم فى هذه الحالة فيقول أحدهم : ــ

(من واقع تجربتى وجدت أن كافة الأشياء التى مررت من خلالها حسنة جدا ولكن وصفها غير مستطاع • وكم تمنيت أن يكون الأخرون معى حتى يروها وتملكنى شعور بأننى لن أستطيع أن أصف ما أراه لأى شخص آخر فقد كنت واقعا تحت سيطرة الشعور بالوحدة لأننى أردت أن يكون معى بعض الناس لمشاركتى رؤيتها ــ ولما كنت أعرف انـه لا يمكن لأحد غيرى أن يكون هناك ، أحسست بأننى فى عالم خاص بى مما جعلنى أشعر بالاحباط • لم أكن قادرا على لمس أى شىء ، أو التخاطب مع أى من الناس المحيطين بى • أنها حالة مريعة وشعور بالوحـدة مع احساس بالانعزال التام •• أعرف أننى كنت وحيدا تماما •• مع نفسى فقط •

ومرة أخرى تملكتنى الدهشة • لم أصدق ما يجرى أمامى أو أهتم به أو حتى التعبير عـن « آه •• أننى ميت ، وقـد تركت أهلى خلفى ،

وسيشعرون بالحزن الشديد ولن أراهم مرة اخرى • » لم أفكر فى شىء من هذا القبيل • وكنت طوال الوقت متنبها الى حقيقة الوحدة التى اعانيها كما لو كنت مجرد زائر جاء من مكان آخر • وبدا لى الأمر كما لو أن كافة العلاقات قد انقطعت ، ولم أحس بالحب أو بأى احساس آخر • كان كل شىء عمليا • ولم أفهم حقيقة الأمر •)

وسرعان ما تتبدد أحاسيس الشخص الميت بالوحدة كلما تعمق فى تجربة حافة الموت ذلك أنه عند نقطة معينة يأتى آخرون لمساعدته فى الحالة الانتقالية التى يمر بها • وهؤلاء قد يتخذون شكل أرواح أقارب أو أصدقاء عرفهم المتوفى عندما كان على قيد الحياة • وفى عدد كبير من الحالات تميز بين هؤلاء الآخرين كائن روحى يبدو سلوكه مختلفا • وفى الصفحات القادمة سننظر فى هذه الحالات •

الالتقاء بالآخرين

قليلون هم الذين حدثونى أنهم عند نقطة معينة أثناء موتهم ــ أحيانا فى بداية التجربة ، وأحيانا أخرى بعد وقوع بعض الأحداث ــ تنبهوا الى وجود كائنات روحية أخرى فى نفس المكان لمساعدتهم أثناء انتقالهم الى حالة الموت أو كما ذكر لى اثنان منهما ــ لابلاغ الميت بأن موعد موته لم يحل بعد وأنه لابد من العودة الى الجسد ، قالت احدى السيدات : ــ

(واجهت هذه التجربة عندما كنت أضع طفلا • كانت عملية الولادة متعسرة وفقدت كمية كبيرة من الدم وتركنى الطبيب وقال لأقاربى أننى أدخل فى حالة الموت بالفعل • وحينذاك عرفت أن جميع هؤلاء الناس كانوا متجمعين هناك •• وكنت أحوم حول سقف الغرفة • أما هؤلاء الناس فقد عرفتهم جميعا خلال حياتى السابقة ولكنهم جميعا ماتوا قبلى

وعرفت من بينهم جدتى لأمى وفتاة كنت أعرفها أثناء الدراسة وغيرهما من الأقارب والأصدقاء . كنت أرى وجوههم وأحس بوجودهم . وكانت فرصة سعيدة حيث غمرنى الاحساس بأنهم جاءوا لحمايتى أو لارشادى كنت أشعر كأننى عائدة الى البيت وأنهم سبقونى الى هنـــاك لتحيتى أو الترحيب بى ، وخلال ذلك كله أحسست بأن كل شىء خفيف ولطيفه .. كانت لحظة جميلة ومجيدة .)

ويذكر أحد الأشخاص ما يلى : ـــ

قبل موتى بعدة اسابيع كان أحد أصدقائى المقربين ويسمى بوب قد قتل . وعند لحظة خروجى من جسدى غمرنى احساس بأن بوب يقف هناك على يمينى تماما . كنت أراه بعقلى ، وأحسست بأنه هناك ولكـــن الاحساس كان غريبا . لم أره فى شكله المادى الذى اعرفه ولكن فى هيئة أخرى . كان موجودا ولكن ليس فى جسد مادى . كـــان جسده شفافا وكنت أحس بكل أعضائه ـــ الأذرع والسيقان وغيرها ، ولكننى لـــم أكن أشاهد ذلك ماديا . ولم أجد ذلك غريبا وقتـــذاك لأننى لم أكن فى حاجة لأن أراه بعينى فلم يكن لى عينان على اى حال . وظللت أسأله : « بوب . الى أين أمضى الآن ؟ ماذا حدث ؟ هل أنا ميت أم لا ؟ » ولـــم يكن يجيب بشىء . لم يقل ولا حتى كلمة واحدة . ولكنه كان موجودا عندما كنت فى المستشفى وسألته مرة أخرى : « ما الذى يدور الآن ؟ » ولم أتلق أية اجابة . وفى اليوم الذى قال فيه الأطبـــاء : « هـــذا الرجل سيعيش » تركنى واختفى . ولم أره مرة أخرى أو أحس بوجوده . وتهيأ لى أنه كان منتظرا أن أعبر هذا الحاجز الأخير ثم يعطينى تفاصيل مـــا حدث .)

وفى حالات أخرى كانت الكائنات الروحية الموجودة لا تمثـــل أشخاصا عرفهم الميت خلال حياته المادية . فقد ذكرت احدى السيدات

أنها أثناء وجودها خارج الجسد لم تر روحها الشفافة فقط ولكنها رأت روحا أخرى كانت لشخص توفى حديثا • ولم تعرف شخصية هذا المتوفى ولكنها ذكرت ملحوظة مثيرة حيث قالت : « لم أر هذا الشخص من قبل ولم أستطع تحديد عمره لأنني أنا نفسي فقدت الاحساس بالزمان •)

وفى حالات قليلة اعتقد بعضهم أن الأرواح التى شاهدوهـا هى « أرواحهم الحارسة » لأن أحد هذه الأرواح قال للميت : « لقد ساعدتك خلال هذه المرحلة من حياتك ولكننى سأتركك الآن فى رعاية آخرين » • وذكرت لى احدى السيدات أنه بينما كانت تترك جسدها عاينت وجود اثنين من الكائنات الروحية قدمـا لها نفسيهما على أنهما « المسـاعدان الروحيان لهـا • » • وفى حالتين مشـابهتين أنبأنى بعض الأشـخاص بسماع صوت قال لهما أنهما لم يموتا بعد ولابـد من عودتهما ، ويصف أحدهما ذلك قائلا : ـ

(سمعت صوتا ، ليس لانسان مثله ولكنه شبه مسموع فيما وراء الحواس الطبيعية ـ كان يذكر لى ما يجب أن اعمله ـ أن أعود ـ ولم أحس بأى خوف وأنا أعود الى جسدى المادى •)

وأخيرا فان الكائنات الروحية قد تتخذ شكلا قريبا من أوعيـة حفظ الخمور عند الرومان القدماء : ـ

(عندما كنت ميتا ، تحـدثت مع أشخـاص ولكننى فى الحقيقة لا أستطيع القول بأنهم كانوا متجسدين ، ولكن كان عندى احساس بأنهم حولى وأستطيع أن أحس بوجودهم وحركتهم بالرغم مـن أننى لا ارى أحدا • وبين الحين والأخر كنت أتحدث مع أحدهم ولكننى لا أراهم • وعندما تعجبت لما يجرى كان أحدهم يذكرنى أن كل شيء على ما يرام وأننى ميت ولكننى سأكون بخير ، ولذلك فاننى لم احس بالقلق لحالتى هذه لأننى كنت أتلقى اجابة لكل سؤال ، فلم يتركوا ذهنى خاويا) •

الكائن النورانى

أما أكثر العناصر غرابة فى الحالات التى درستها ، وأكثرها تأثيرا على الانسان ، فهو معاينة نور شديد اللمعان • وهذا النور كان معتما للوهلة الأولى ولكنه يسطع تدريجيا حتى يصل الى درجة من اللمعان غير الأرضى • وبالرغم من أن هذا النور (كان فى العادة أبيض وشفافا) الا انه من الصعب وصف لمعانه • وذكر الكثيرون أنه لم يؤذ عيونهم أو يبهرهم أو يحول بينهم وبين رؤية الأشياء الأخرى المحيطة بهم (ربما لأنهم عند هذه النقطة لم تكن لهم عيون مادية تتأثر به •)

وبالرغم من السطوع غير العادى لهذا النور فان أحدا لم يشكك فى وجوده ، انه كائن نورانى ، ليس كائنا انسانيا فقط ولكن يزيد على ذلك أن شخصيته كانت فريدة • أما الحب والدفء اللذان كانا يشعان منه الى الشخص الميت فلا يمكن وصفهما بالكلمات العادية • ويحس الميت فى حضرته بأنه قد أحاط به واشتمله حتى يحس بالراحة الكاملة والقبول • انه يحس بجاذبية لا تقاوم نحو هذا النور فينجذب نحوه انجذابا محتوما •

وبينما كانوا لا يختلفون فى وصف الكائن النورانى فان تعريفه كان يختلف من شخص لآخر مما يجعل الموقف كله عملية تعود الى الخلفية الدينية أو العقائدية للشخص الميت • وعلى ذلك فان معظم هؤلاء الذين يعتنقون المعتقدات المسيحية يعرفون الكائن النورانى بأنه السيد المسيح• وفى بعض الأحيان يقدمون شواهد من الكتاب المقدس لتأييد ما يقدمونه من تفسير •

وهناك رجل وسيدة يهوديان عرفا الكائن النورانى بأنه (ملاك) • وبالرغم من أنه كان واضحا لهم الا انهما لم يذكرا أنه كان ذا أجنحة ، أو كان يعزف على آلة موسيقية أو حتى انه كان ذا شكل انسانى • كان

الحديث يدور فقط حول وجود النور وكان كلاهما يريد أن يبين أن الكائن النورانى كان مبعوثا لأداء مهمة أو مرشد •

وهناك رجل غير متدين بالمرة عرف ما رآه بأنه « كائن من النور » وقد استعملت احدى السيدات المسيحيات نفس هذا التعبير ولم تقل أن الكائن هو السيد المسيح •

وبعد ظهور الكائن النورانى بقليل يبدأ فى التخاطب مع الميت بنفس الطريقة التى ذكرناها ونحن نفسر كيف يلتقط الشخص الذى يلبس الجسد الروحى أفكار المحيطين به • وهناك مرة أخرى يذكر الذين ماتوا أنهم لم يسمعوا أية أصوات مادية تنبعث من هذا الكائن النورانى كما أنهم لم يردوا عليه بأصوات مسموعة • ان كل ما يحدث ليس الا انتقال مباشر للأفكار بطريقة واضحة بحيث لا يحدث التباس فى الفهم أو شبهة كذب فى شأن النور •

وهذا التغيير لا يحدث فى لغة الشخص الميت ولكنه يفهمه ويدركه دون أن يترجم الأفكار والمحاورات التى جرت عندما كان على حافة الموت الى اللغة البشرية التى يتحدث بها بعد اعادته الى الحياة المادية •

وتصور لنا الخطوة التالية فى التجربة صعوبة الترجمة من هذه اللغة غير المنطوقة • ان الكائن النورانى يوجه فى الغالب فكرة للشخص المقصود ويحاول هذا الشخص ــ كما قال هؤلاء الذين تحدثت اليهم ــ أن يحول الفكرة الى سؤال • وقد سمعت من بين هذه الترجمات ما يلى: « هل أنت مستعد للموت ؟ » و « هل تجهزت للموت ؟ » و « ما الذى فعلته فى حياتك وتريدنى أن أراه ؟ » و « ماذا فعلت بحياتك التى عشتها حتى الآن ؟ » • ان الصيغتين الأولى والثانية اللتين تدوران حول الاستعداد يبدو أن لهما وقعا مختلفا عن الصيغتين الأخيرتين اللتين تركزان على الانجاز ، وعلى اى حال فان البعض يؤيدنى فى الاحساس بأن الميت يحاول

أن يعبر عن نفس الفكرة التى نستخلصها من احدى السيدات التى صاغتها بهذه الطريقة :

« كان أول شيء قاله لى هو : هل أنا مستعدة للموت ، أو ما الذى فعلته فى حياتى وأريد أن يراه » •

وحتى فى أغرب الحالات التى أوضح فيها الأشخاص معنى السؤال كانت له نفس القوة — على سبيل المثال ذكر شخص أنه خلال موته : (سألنى الصوت سؤالا : « هل تستحق ؟ » وكان السؤال يعنى : « هل نوعية الحياة التى عشتها حتى تلك اللحظة تستحق الاهتمام ، وكان الكائن يعرف عنى نفس ما أعرفه) •

وبالمصادفة نجد أن الجميع يصرون على أن هذا السؤال بما يتضمنه من حسم وعمق فى دوافعه العاطفية — لم يوجه مطلقا فى صيغة الادانة او الاستنكار كما أن الجميع يتفقون على أن الكائن النورانى لا يوجه السؤال نحوهم مباشرة لاتهامهم أو تهديدهم لأنهم ظلوا يشعرون بكل الحب والقبول من جانب الكائن النورانى بصرف النظر عما تضمنته اجاباتهم • وكان المقصود بالسؤال أن يحفزهم الى التفكير فى حياتهم واثارة انتباههم • انه شبيه بأسئلة سقراط التى لم تكن تهدف الى الحصول على المعلومات بل مساعدة الشخص على السير فى طريق اكتشاف الحقيقة بنفسه • دعنا ننظر الآن فى بعض القصص المتعلقة بهذا الكائن العجيب :

(١ — سمعت الأطباء يقولون أننى ميت ، وكان ذلك عندما بدأت أشعر بأننى أطفو خلال هذا الظلام الذى أحاط بى كالسياج • وفى الحقيقة فان الكلمات لا تستطيع أن تصف هذه الحالة • كان كل شيء قاتم السواد فيما عدا مساحة الطريق المتجهة نحوى حيث كنت أرى هذا النور ••كان نورا شديد اللمعان ولم يكن كبيرا فى البداية ولكنه أخذ

يكبر رويدا رويدا مع استمرارى فى الاقتراب منه • وفى النهاية حاولت أن أصل الى هذا النور لأننى شعرت بأنه هـو السيد المسيح وعنـدما وصلت الى هذه النقطة لم تصبح التجربة مخيفة بل صارت شيئا مبهجا على كل حـال •

ونظرا لأننى مسيحى فقد سارعت الى الربط بين النور والسـيد المسيح الذى قال : « انا هو نور العالم » فقلت لنفسى :

« اذا كانت هذه هى الحالة فعلا •• اذا كنت أموت الآن ، فاننى أعرف فى النهاية من هو الذى ينتظرنى هناك فى ذلك النور » •)

(٢ ـ قمت ومشيت فى الصالة لأحصل على شراب • وكانت هذه هى الخطوة التى اكتشفوا عندها انفجار زائدتى الدودية ، شعرت بالضعف الشديد ثم سقطت على الأرض • بدأت أشعر بنوع من عدم التوازن وأعنى بذلك تأرجح كيـانى الى داخـل والى خـارج جسـدى مـع سـماع موسـيقى جميلة ، وأخـذت أطفـو فى الصـالة خارجا من الباب الى الشرفة التى تحجبها ستارة وهناك بدأ يتجمع حولى سحاب وردى اللون ، ثم طفوت يمينا من خلال الشاشة وكأنها غير موجودة فى مكانها • وارتفعت من خلال هذا النور البللورى الصـافى • انه نور يشع بالبياض • كان نورا لطيفا ولامعا ومشعا ولكنه لم يضر عينى • انه نوع عجيب لا يمكن أن تصفه على الأرض • ولم أشاهد شخصا داخل هذا النور ولكنه كان يمثل شخصية خاصة بالتحديد •• انه نور يعبر عن كمال الفهم وكمال الحب •

وسرعان ما واتتنى الفكرة : « هل تحبنى ؟ » لم تكن فى شكل سؤال ، ولكننى أضمن أن هذا هو المعنى الذى قصده النور قائلا : ـ « اذا كنت تحبنى عد وأكمل ما بدأته فى حياتك • » وخلال هذه الفترة شعرت كما لو أننى كنت محاطا بحب جارف وعاطفة جياشة) •

(٣ ــ عرفت أننى أموت وليس فى استطاعتى أن أفعل شيئا ازاء هذا الموقف لأن احدا لا يسمعنى •• لا شك أننى خرجت من جسدى لأننى كنت أرى جسدى هنــاك على منضــدة غرفة العمليات • كانت نفسى قد فارقتنى • فى البداية شعرت شعورا سيئا ولكن بعد ذلك ظهر هذا النور اللامع • كان معتما فى البداية ثم تحول الى شعاع فياض • كان يمثل فيضا عظيما من النور مثل نور كشاف شديد اللمعان • كــان نورا شديدا أفاض على بالحرارة فغمرنى احساس بالدفء •)

كان النور يلمع باللون الأصفر المشرب بالبياض ثم أخذ البياض يشتد بالتدريج حتى صار شديد اللمعان • وعند هذه الدرجة لا أستطيع أن أصفه • ظهر لى أنه يغطى كل شىء •• كنت أرى بوضوح من خلاله ولم يمنعنى من الرؤية •

فى البداية عند ظهور النور لم أكن متأكدا مما يجرى ولكن بعد ذلك سألنى اذا كنت مستعدا للموت • كان الصوت شبيها بالحديث الى انسان ولم يكن هناك أى أنسان • كان الصوت الذى يحدثنى آتيا من النــور •

الآن اظن أن الصوت الذى خاطبنى كان يعرف أننى غير مستعد للموت • كان مجرد امتحان فقط ولكن منذ اللحظة التى خاطبنى فيها النور شعرت بالتحسن والأمن والحب • ان الحب الذى صــدر عنه لا يمكن للانسان أن يتخيله أو يصفه • كان شــخصا تحب ان تبقى معه كما كان يتمتع بروح لطيف مرح •

العرض الموجز

كان المظهر اللامع للكائن النورانى وأسئلته الاستطلاعية غير المنطوقة مقدمة للحظة من الصفاء الذى يقدم فيه الكائن النورانى للميت عرضا موجزا شاملا لحياته • كان واضحا أن الكائن النورانى يرى حياة الميت كلها معروضة بوضوح ولا يحتاج الى معلومات وكان كل ما يقصده هو أن يحفزه الى التأمل •

ونستطيع وصف هذا العرض الموجز من خلال مصطلحات الذاكرة فقط لأنها أقرب الظواهر اليه ولكنه يتمتع بخصائص تجعله بعيدا عن أى نوع معروف من أنواع التذكر • أولا : أنه سريع بطريقة غير عادية • وعندما نصفه باستخدام اصطلاحات الذاكرة الدنيوية نقول ان الأحداث تتبع احداها الأخرى فى سرعة حسب الترتيب الزمنى • وكان بعضها لا يسير حسب الترتيب الزمنى الذى جرت به فى حياة العالم كان التذكر لحظيا فيظهر كل شىء سريعا ولكن الميت يستطيع الاحاطة بالأحداث كلها فى نظرة عقلية واحدة • ويبدو أن الجميع اتفقوا على أن التجربة قد انتهت فى لحظة خاطفة من الزمن الأرضى •

وبالرغم من هذه السرعة اتفق الذين مروا بهذه التجربة جميعا على أن العرض الموجز الذى وصفوه غالبا كشريط من الصور المرئية كان واضحا وحقيقيا بدرجة مذهلة • وكانت الصور فى بعض الأحيان ذات ألوان مذبذبة لها ثلاثة أبعاد وشديدة الحركة ومع أنها كانت تتذبذب بسرعة الا أن كل صورة كانت مفهومة ومعروفة ، حتى المشاعر والأحاسيس المرتبطة بالصور كانت تتم استعادتها عندما كان يجرى عرض الصور •

وصرح بعض الذين قابلتهم بأنهم لا يستطيعون وصف هذا العرض

ولكن كل ما عملوه أثناء حياتهم كان واضحا من خلاله ابتداء من أتفه الأشياء ووصولا الى أعمقها معنى • ويبين آخرون أن ما شاهدوه كان يبرز الأحداث الرئيسية التى مرت بحياتهم ، كما ذكر آخرون أنهم ظلوا لفترة طويلة بعد هذه التجربة يتابعون احداث العرض ويستعيدون حياتهم بكافة تفاصيلها الدقيقة •

ويصف بعضهم هذا العرض بأنه كان جهدا تعليميا من جانب الكائن النورانى يركز على أهمية شيئين فى الحياة : أن تتعلم كيف تحب الآخرين ، وأن تكتسب المعرفة •

دعنا الآن ننظر فى قصة من هذا النوع : ـ

(عندما ظهر النور كان أول حديثه معى هو : « ما عليك الا أن تبين لى ماذا عملت بحياتك ؟ » أو ما يشبه هذه العبارة • وكان ذلك القول مصاحبا لبدء عرض أحداث حياتى • وفكرت فى نفسى قائلا : « ما هذا الذى يحدث ؟ » لأن الموقف كله كان مفاجئا • وعدت سريعا الى طفولتى المبكرة وعرفت أننى أراجع أحداث حياتى المبكرة وأتابعها عاما بعد عام حتى الوقت الحالى •

وكانت البداية غريبة حقا ، عندما كنت طفلة صغيرة ألعب على مجرى المياه فى الحى الذى نعيش فيه • وشاهدت مناظر أخرى تنتمى الى هذه الرحلة بما فيها التجارب التى عشتها مع أختى واشياء عديدة تتعلق بالجيران والأماكن الحقيقية التى عشت فيها ، ثم تدرجت الى الحضانة وتذكرت الوقت الذى امتلكت فيه تلك الدمية التى أحببتها وبكائى الكثير عندما كسرتها • وكانت هذه صدمة بالنسبة لى • وتوالت الصور لتكشف عن أحداث حياتى فتذكرت نفسى عندما كنت بفريق

الكشافة وعشت فى معسكراتها ، كما تذكرت أشياء عديدة عن المدرسة الابتدائية • وعندما دخلت المدرسة الأعلى تشرفت باختيارى لعضـوية جمعية الانجازات المدرسية وتذكرت فرحتى عندما وقع على الاختيار • ثم دخلت مرحلة الدراسة بالمدارس العليـا ثم التخرج وصـولا الى سنوات الدراسة بالكلية حتى الوقت الحالى •

وكانت الأحداث التى أراها تسير حسب ترتيب حدوثها فى حيـانى بوضوح شديد • وكانت المناظر تبدو وكأننى أقف فى الخارج وأشاهدها تتوالى أمامى • كانت جميعها بالألوان وذات أبعـاد ثلاثـة وشديدة الحركة • وبمجرد أن شاهدت نفسى أكسر الدميـة كنت أرى جميع الحركات ولكن من منظور مخالف لذلك الذى تأثرت به وقتذاك لأننى كنت أرى الطفلة وكأنها طفلة غيرى بين اطفال آخرين يلعبون على الأرض فى شريط للصور المتحركة • ولكننى كنـت انا هـذه الطفلة بالفعل • وشـاهدت نفسى أعمل أعمال الطفولة تماما كما عملتها بالفعـل لأننى تذكرتها جيدا •

وعندما كنت أشاهد عرض الأحداث اختفى الكائن بمجـرد أن سألنى عما فعلته بحياتى ، ثـم بدأ استعراض أحداث هـذه الحياة ، ولكننى كنت أعرف أنه موجود طـوال الفترة التى عـدت فيهـا الى أحداث حياتى لأننى شعرت بوجـوده ، ولأنـه أيضا كـان يعلق على الأحداث ، ويحاول أن يبين لى بعض الأمور فى كل مرحلة ، ولم يكن فى الحقيقة يريد أن يعرف ما فعلته لأنه كان يعرف كل شىء ولكنه كان يختار بعض المواقف من حياتى ويعرضها أمامى وحينذاك كنت اتذكرها سريعـا •

وخـلال ذلك كله كان يركز على أهمية الحب • وكانت أحسـن الأجزاء التى عرضها هى تلك التى تظهر فيها اختى لأننى كنت دائمـا

قريبة منها ، واراني بعض المواقف التى مارست فيها الأنانية ضد أختى مع العديد من المواقف التى أظهرت فيهـا الحب نحوهـا ، وشاركتها مشاعرها • ونبهنى الى مـا يجـب أن اقـوم به نحو الآخرين بقـدر استطاعتى • ولم يوجه لى أى اتهام خلال ذلك العرض كله حتى عندما استعرض المواقف التى كنت فيها شديدة الأنانية ، كان تعليقه حينذاك ينحصر فى أننى تعلمت أيضا الكثير خلال هذه المواقف •

وكان شديد الاهتمام بالأشياء المتعلقة بالمعرفة • وظل يبين ما يرتبط بالتعليم قائلا أننى كنت أتعلم وقال أنه عنـدما يعود الى مرة أخـرى « لأنه عند هذه المرحلة كان قد حدثنى عن أننى سأعود الى الحياة » سيسألنى دائما عن المعرفة قائلا أنها عملية مستمرة مما أعطانى الاحساس بأنها تستمر أيضا حتى بعـد الموت • ولابد أنه كان يحاول أن يعلمنى خلال عرض أحداث حياتى التى مضت •

كان الأمر كله غريبا • كنت هناك • كنت أرى فعلا هـذا العرض لأحداث حياتى وأتابع سيرها الذى توالى سريعا ولكنه كان بطيئا بالقدر الذى يسمح لى بالاستيعاب • ولم يكن هناك حساب للزمان فكل ما أعرفه عن الموقف يتلخص فى ظهور النور ، ثم عرض شريط الأحداث ، ثم عودة النور ثانية • ويبدو أن الموقف كله استغرق أقل من خمسة دقائق وربما أكثر من ثلاثين ثانية قليلا •• اننى لا أستطيع التحديد •

والمرة الوحيدة التى شعرت فيها بالخوف هى عندما عرفت أننى لن أستكمل بقية حياتى فى هـذا المكان ولكننى استمتعت بهـذا العرض وسعدت بالعودة الى طفولتى كما لو كنت أعيشها مرة ثانية • ان هـذه الطريقة محببة لأننى لا أستطيع أن أستعيد أحداث حياتى فى العادة ••)

وهناك تقارير أخرى تبين أن العرض الموجز كان يحدث حتى لو لم

يظهر الكائن النــوراني • أما التجارب الأكثر اثارة فهي تلك التي كان الكائن النوراني يوجه فيها الميت لأنهــا كانت أكثر دقة وحيوية وسرعة بصرف النظر عن ظهوره خلالها وأيضا بصرف النظر عن حدوثها خلال موت طبيعي أو تجربة حافة الموت •

ويقول شخص آخر :

(بعد كل هذه الضجة والمرور عبر ذلك المكان الطويل المظلم كانت كافة أفــكار طفولتي بل حيــاتي كلها هنــاك عند نهاية ذلك النفق ، تومض أمامي • لم تكن على هيئة صور بل أكثر من ذلك في شكل أفكار• انني لا أستطيع أن أصفها لك ولكنها كانت جميعها هناك ، ليست منفصلة الواحدة بعد الأخرى ولكنها كانت كلها معا • فكرت في أمي ، والأشياء التي أخطأت فيها وكلما رأيت الأشياء التي عملتها في طفولتي وفكرت في أمي وأبي وددت لو أنني لم أفعل هذه الأشياء وتمنيت ان أعود ثانيــة ولا أعملهــا) •

أما في التجربتين التاليتين فسنجد أن الموت الاكلينيكي لم يحدث في وقت التجربة ولكن الشخص كان واقعا تحت تأثير ضغط مرضي أو اصابة شــديدة :

(وتطور الموقف فجأة فشعرت بقشعريرة بسيطة ، ولم يتحســن الحال لمدة أسبوعين ، ولكن في هذه الليلة أشتد المرض جدا كنت نائما في السرير وأتذكر أنني حاولت ان أصــل الى زوجتي وأبلغهــا بالمرض الشديد ولكنني لم أستطع الحركة ، وأكثر من ذلك وجدت نفسي في فراغ قاتم • ورأيت حياتي كلها تتوالى على هيئة شريط عاد بي الى سني عمري الأولى عندما كنت في السادسة أو السابعة • وتذكرت صديقا لي بالمدرسة

الابتدائية ، ثم انتقلت الى المدرسة العليا ثم الى الكلية ثم الى طب الأسنان وصولا الى الشق الأخير وهو عملى كطبيب للأسنان •

عرفت أننى ميت • وأذكر أننى فكرت حينذاك فى أن لدى ما أريد ابلاغه لأسرتى ، وارتبكت لعلمى باننى أموت وأحسست بالأسف على أشياء معينة عملتها فى حياتى ، كما أحسست بالأسف على أشياء أخرى لم أعملهـا •

وكان هذا العرض الموجز فى شكل صور ذهنية ولكنها أكثر وضوحا عن الصور العادية • لقد رأيت الأحداث الرئيسية ولكنها مرت سريعة كما لو كنت أنظر فى مجلد يتضمن تفاصيل حياتى كلها مع احساس بالقدرة على ممارستها من جـديد فى أسرع من لمح البصر • توالت أمامى على شكل شريط للصـور المتحركة ولكننى رغم سرعتها كنت قـادرا على مشاهدتها وفهمها بوضوح • ولم أحس بالمشاعر التى صاحبت الأحداث نظرا لضيق الوقت وكذلك لم اشاهد شيئا آخر خلال هذه التجربة • وكان الظلام مخيما على المكان فيما عدا الصـور التى أشـاهدها ، ولكننى أحسست بوجود كائن قوى فائق الحب يقف معى خلال هـذه التجربة كلها • انها تجربة مثيرة حقا • وعندما شفيت كنت أستطيع أن أقص على أى شخص تفاصيل حياتى كلها بالنظر الى التجربة التى مررت بهـا • انها تجربة يصعب وصفها بالكلمات لأنها مرت فى سرعة ولكنها كانت واضـحة) •

ويحكى أحد المحاربين القدماء هذه القصة :

(عنـدما كنت أخدم فى فيتنام ، أصبت بجروح أدت الى وفاتى ، ولكننى كنت أعرف ما يجرى تماما • كنت قد تلقيت سـتة دفعات من طلقات مدفع رشاش ، لم أقم بعدها من مكانى ، وشعرت بالوحدة تكتنفنى

بعد هذه الاصابة ولكننى لم اشعر بالخوف • وعند لحظة الاصطدام لم أشعر الا وقد تحولت حياتى الى شريط من الصور المتحركة وشعرت بأن فى أستطاعتى العودة الى طفولتى المبكرة وتوالت الصور مارة بحياتى كلهـــا •

كنت أتذكر كل شيء بوضوح • كانت واضحة تماما مبتدئة بالأحداث المبكرة ووصولا الى الوقت الحالى فى لحظات قصيرة • ولم يكن ذلك سيئا على أية حال لأنتى كنت أراه دون أية أعذار أو احساس بمشـــاعر الاحتقار للذات •

ويمكن مقارنة هذا الشريط بالصور التى يعرضها الفانوس السحرى مع وجود شخص يقوم بتغيير المناظر أمامى فى سرعة مذهلة) •

وأخيرا فهذه حالة صدمة عصبية شديدة ترتب عليها الموت الفجائى بالرغم من عدم حدوث اصابات :

(وفى الصيف التالى بعد مرور عام على انتظامى بالكلية ، التحقت بعمل كسائق سيارة نقل نصف جرار ، وكانت مشكلتى خلال هذا الصيف تنحصر فى النوم أثناء القيادة • وباكرا فى صباح أحد الأيام كنت اقود السيارة فى رحلة طويلة فأغفيت أثناء القيادة • وآخر ما أذكره يتلخص فى رؤية احدى علامات المرور ثم نعست • وبعد ذلك سمعت صوت احتكاك فظيع وانفجرت العجلة الخارجية اليمنى • ونظرا لثقل وميل الســيارة المترنحة انفجرت الاطارات اليسرى وانقلبت السيارة على جانبها وزحفت منحدرة مع الطريق نحــو احدى القنـــاطر • وفزعت لأنتى كنت أعرف ما يجرى • كنت أعرف أن السيارة ستصطدم بالقنطرة • والآن وخلال الفترة التى كانت تنزل السيارة فيها ، فكرت فى جميع الأشياء التى عملتها • رأيت أشياء معينة تمثل المعالم الرئيسية وكانت حقيقية بالفعل • وتذكرت

فى البداية أننى كنت أسير خلف والدى على الشـاطىء عندما كنت فى الثانية من عمرى • وشاهدت أشياء اخـرى تتوالى بالترتيب مبتـدئة بسنوات عمرى المبكرة ، ثم تذكرت تحطيم عربتى الجديدة الحمراء التى تلقيتها كهدية فى عيد الميلاد عندما كان عمرى خمس سنوات • وتذكرت صراخى عندما ذهبت الى المدرسة ودخلت الصف الأول مرتديا معطف المطر الأصفر الذى أشترته لى أمى • وتذكرت بعض الأحداث التى مرت بى خلال كل عام من أعوام حياتى بالمدرسة الابتدائية • اننى أتذكر كل المدرسين بتلك المدرسة • ثم ذهبت الى المدرسة الأعلى وحصلت على تصريح عمل وذهبت للعمل بمحل للبقالة ووصل الشريط الى ما قبل بداية عامى الثانى بالكلية أى الوقت الحالى •

لقد توالت كافة هذه الأحداث مع غيرها فى سرعة • ولابد أنها لم تستغرق أكثر من نصف ثانية ثم أنتهت كلها ، ووجدت نفسى واقفا أنظر الى السيارة وأظن أننى كنت ميتا ، كنت ملاكا • وبدأت اتحسس نفسى لأرى ما اذا كنت حيا ، أو شبحا ، أو ماذا •

كانت السيارة قد تحطمت تماما ، ولكننى لم أصب بأى خدش • لقد قفزت من فتحة الزجاج الأمامى لأن زجاج السيارة كله قد تحطم • وبعد أن هدأت الأمور شعرت بأن مشاهدة كافة هذه الأشياء التى مرت بى خلال حياتى قد تركت أثرا قويا فى نفسى ، وانطبعت فى ذهنى خلال هذه الأزمة • أخذت أفكر فى كافة هذه الأشياء وأتذكر كلا منها • ومن المحتمل انها استغرقت ربع السـاعة على الأقل ، ولكنها حدثت بسرعة تلقائية وفى أقل من ثانية •• لقد كانت مثيرة بالفعل) •

الحاجز أو الحـــد

وفى لحظات قليلة وصـــف لى بعض الناس كيف أنهم خلال تجربة حافة الموت أقتربوا من حاجز أو حد من نوع ما ، اتخذ فى بعض حكاياتهم شكل مسطح من المـــاء ، أو سحابة رمادية ، أو بابا ، أو سورا عبر حقل، أو خطا • وبالرغم من أن هذا يثير الكثير من التأملات الا أننا نستطيع أن نسأل عما اذا كانت هناك تجربة أساسية أو فكرة محورية تنتظم هـــذه القصص جميعها • واذا كان الرد بالايجاب فان الاجابات العديدة عن هذا السؤال ســتقدم لنا أساليب مختلفة للشرح أو التعبـير أو تذكر تلك التجربة الأساسية • دعنا الآن ننظر فى بعض الحكايات التى تلعب فيها فكرة الحاجز أو الحد دورا بارزا •

(١ ـ لقد توفيت على أثر أزمة قلبية ، وبينما أنا كذلك وجدت نفسى فجأة فى حقل بديع وكل ما فيه يسطع باللون الأخضر اللامع الذى لا يماثله شىء على سطح الأرض • وكان هنـــاك نور خفيف يلف كل ما حولى • ونظرت الى الأمام عبر الحقل فرأيت سورا • وبدأت التحرك نحو السور فرأيت رجلا على الجانب الآخر من السور يتحرك نحوه كما لو كان قادما للقائى ، ولكننى شعرت بنفسى أنجذب للخلف ثم استدير وأرجع فى الاتجاه الآخر بعيدا عن السور) •

(٢ ـ حدثت هذه التجربة أثناء ولادة طفلى الأول حوالى الشهر الثامن من الحمل • وكنت قد تعرضت لمـــا أطلق عليه طبيبى اسم « حالة تسمم » ونصحنى بدخول المستشفى حيث يستطيع اخراج الطفل • وبعد الوضع مباشرة حدث لى نزيف شديد ومر الطبيب بوقت عصيب محاولا التحكم فى الحالة • وكنت متنبهة لمـــا حدث لأننى أنا نفسى ممرضة •

عرفت حجم الخطر • وفى هذا الوقت فقدت الوعى وسمعت أزيزا مثيرا للقلق وأصوات رنين ، كما لو أننى كنت على سطح باخرة أو سفينة صغيرة تبحر الى الجانب الآخر من بحر واسع • وكنت أرى على الشاطىء البعيد جميع أحبائى الذين ماتوا من قبل — أمى ، وأبى ، وأختى ، وغيرهم • كنت أراهم وأرى وجوههم مثلما كانت خلال وجودهم على الأرض • وظهر لى أنهم أشاروا نحوى لكى ألحق بهم ، وكنت طوال الوقت أقول : « لا •• لا •• أنا غير مستعدة للحاق بكم •• اننى لا أريد أن أموت •• لست مستعدة بعد للذهاب •

وكانت تجربة شديدة الغرابة لأننى كنت طوال الوقت أرى الأطباء والممرضات أيضا وهم يعملون فى جسدى ، وصرت فى موقف المتفرج وليس كصاحبة هذا الجسد • وبينما كانوا يعملون كنت أحاول أن أقول لطبيبى : « لن أموت » ولكن لم يسمعنى أحد • أما الأطباء والممرضات وغرفة الولادة والسفينة والماء والشاطىء البعيد ، فهذه كلها كانت تمثل شكلا لمجموعة مناظر قد رتبت فوق بعضها •

وأخيرا تصل السفينة الى الشاطىء البعيد • ولكن قبل ذلك بقليل تعكس اتجاهها وتعود • وعند هذه النهاية نظرت الى طبيبى قائلا : « لن أموت » وتلك هى النقطة التى عدت عندها الى الحياة • وتولى الطبيب شرح ما حدث وعلمت منه أنه حدث لى نزيف داخلى وأننى كنت على حافة الموت ولكننى أتعافى الآن) •

(٣ — نقلت الى المستشفى بسبب التهاب حاد فى الكلى ودخلت فى غيبوبة حوالى أسبوع • ولم يكن أطبائى متأكدين من أننى سأعيش• وخلال الفترة التى فقدت فيها الوعى شعرت بأننى قد حملت الى أعلى وكأنه ليس لى جسد مادى بالمرة وظهر لى نور أبيض لامع لدرجة أننى

لم أستطع الرؤية من خلاله ولكن الوجود فيه كان مهدئا ولطيفا بصورة لم أعهدها فى أى تجربة على الأرض • وفى حضور النور راودتنى هـذه الأفكار أو الكلمات :

« هل تريد أن تموت ؟ » وأجبت بأننى لا أعرف لأننى لست على علم بالموت • ثم قال النور الأبيض : «اعبر هذا الخط وحينذاك ستعرف» وشعرت بأننى أعرف موضع الخط أمامى ، بالرغم من اننى لا أراه • وبينما كنت أعبر الخط غمرتنى أعجب المشاعر • مشاعر السلام والهدوء والراحة من كل الأتعاب) •

(٤ ــ أصبت بنوبة قلبية ووجدت نفسى فى فراغ مظلم وعرفت أننى خرجت من الجسد وأننى أموت ففكرت قائلة : « يا الهى ، لقـد بذلت أفضل ما فى وسعى وفى الوقت المناسب ، فأرجوك أن تساعدنى »• وسرعان ما خرجت من الظلام عبر ممر رمادى باهت ، وتقدمت الى الأمام متحركة فى سرعة ، وعلى مسافة قريبة رأيت امامى سحابة رمادية كنت مندفعة نحوهـا ولاحظت أننى لا أتجه نحوها بالسرعة القصـوى التى تشعرنى بالرضا ، وعندما اقتربت منها استطعت الرؤية من خلالها • استطعت أن أرى خلف السحابة أناسا بنفس الهيئة التى عرفتهم بها على الأرض ورأيت شيئا على هيئة مبانى •

كان كل شيء ملفوفا فى نور بهى ولون أصفر ذهبى ــ انه لون شاحب يختلف عن لون الذهب الذى نعرفه على الأرض • وعندما اقتربت أكثر تأكدت أننى أدخل فى السحابة وكان احساسا عجيبا ومبهجا ، لا أجد بين كلمات اللغة البشرية ما يساعد على وصفه • ولم يكن دورى قد حان لدخول السحابة لأنه سرعان ما ظهر من الجانب الآخر للسحابة عمى كارل

الذي كان قد توفى منذ عدة سنوات فأعترض طريقى قائلا : «عودى ثانية، ان عملك على الأرض لم يكمل بعد •• عودى الآن » •

لم أرغب فى العودة ، ولكن لم يكن أمامى مخرج آخر • وسرعان ما عدت الى جسدى ، وأحسست بذلك الألم الفظيع فى صدرى وسمعت ابنى الصغير يصرخ « يا الهى •• أعد الى أمى ثانية ») •

(٥ ـــ نقلونى الى المستشفى بسبب حالة عويصة قالوا أنها ورم كبير وقال طبيبى أننى لن أعيش ، وطلب حضور أقاربى لأننى لن أبقى مدة طويلة ، فحضروا وتجمعوا حول السرير • وبينما كان الطبيب يظن أننى ميت لحظت أقاربى وكأنهم يبتعدون عنى متراجعين الى الخلف • وكان المفروض أننى أنا الذى ارحل عنهم • وبدأت أدخل فى ظلام متوال ولكننى كنت أراهم •

فقدت الوعى ولم أعرف شيئا عما يدور فى غرفة المستشفى ولكننى كنت أنزل خلال ممر ضيق على شكل حرف «V»، لا يزيد عرضه على عرض هذا الكرسى ولكنه مناسب لحجم جسمى تماما ، ويبدو أن يدى وذراعى قد تدلتا الى جانبى • فى البداية تقدمت الى الأمام خلال الظلام الحالك، وتحركت سريعا منحدرا الى أسفل ، ونظرت فرأيت بابا جميلا لامعا ليس له مقبض ، ورأيت حول حواف الباب نورا حقيقيا لامعا تنبعث منه أشعة متدفقة للدلالة على أن كل من هناك سعداء وسرعان ما استدرت فظهر لى أن هناك زحاما شديدا فنظرت ثم قلت : « يا الهى •• هاأنذا • اذا كنت تريدنى ، خذنى اليك » • فدفعت الى الخلف بسرعة وأحسست بأننى فقدت الأنفاس) •

العودة

كان من الواضح أن جميع الذين تحدثت اليهم قد عادوا الى الحياة عند نقطة معينة خلال التجربة ، وحينئذ كان يحدث تغيير مثير فى مواقفهم من الحياة • وقد اتفقوا على أن أكثر المشاعر التى ذكروها خلال اللحظات الأولى بعد الموت انما تمثل رغبة يائسة فى العودة للجسد مع الأسف الشديد على ما تركوه من مواريث • وعلى أى حال فعندما يصل الميت الى عمق معين خلال التجربة كان يرفض العودة الى الحياة ، وربما يقاوم الدخول فى الجسد ثانية ، وهذه هى حالة هؤلاء الذين تعمقوا فى التجربة حتى التقوا بالنور • ويكشف أحدهم ذلك قائلا : « لم أرغب فى مفارقة هذا الكائن العجيب » •

ولا يستثنى من هذا التعميم الا حالات قليلة حيث ذكرت لى العديد من الأمهات اللائى كن قائمات على تربية أطفال صغار عند دخول التجربة أنه فيما يتعلق بذواتهن فانهن كن يرغبن فى البقاء هناك ولكنهن شعرن بالواجب يدفعهن لمحاولة العودة لتربية أطفالهن :

(رغبت أن أبقى هناك ، ولكننى تذكرت اسرتى المكونة من أطفالى الثلاثة وزوجى • والآن أرى أن هذا هو الجزء الصعب الذى يشق على النفس أن تتجاوزه ، فعندما غمرنى ذلك الشعور فى حضرة هذا النور ، لم أرغب حقيقة فى العودة الى الحياة ، ولكننى أحرص على انجاز واجباتى دائما ، وكنت أعرف واجبى نحو أسرتى ، ولذلك قررت العودة) •

وفى حالات أخرى عديدة ذكر لى البعض أنهم بالرغم مما كانوا فيه

من الراحة والسلام أثناء وجودهم خارج الجسد وتمتعهم بهذه الحالة ، فقد أحسوا بالسعادة لدى معرفتهم بالقدرة على العودة للحياة الطبيعية حيث تركوا عملا مهما دون أن يكملوه . وفى حالات قليلة اتخذ ذلك شكل الرغبة فى اتمام تعليم لم يستكمل بعد :

(أتممت ثلاث سنوات من الدراسة بالكلية وبقيت سنة واحدة على التخرج . وكنت أفكر قائلا : « أريدأن أموت الآن » وأظن ان هذه الحالة لو استمرت عدة دقائق أخرى أو أننى بقيت مع هذا الكائن النورانى لحظة أطول ، لصرفت النظر عن الدراسة نهائيا لأننى كنت سأندمج فى الأمور الأخرى التى عايشتها خلال التجربة) .

وتقدم لنا الحكايات التى حصلت عليها صورة مختلفة تماما عندما نصل الى السؤال الخاص بكيفية العودة الى الحياة الطبيعية وسبب هذه العودة . يقول معظم الأشخاص فى بساطة أنهم لا يعرفون كيف أو لماذا عادوا ، أو أنهم يحاولون التخمين . وقليلون هم الذين شعروا بأن قراراتهم بالعودة للجسد وحياة العالم كانت هى العوامل المؤثرة :

(كنت خارج الجسد ، وعرفت أن الواجب يقتضى اتخاذ قرار . كنت أعرف أننى لا أستطيع البقاء خارج جسدى الطبيعى لفترة طويلة ، وهذا أمر يصعب فهمه على الآخرين ، ولكنه كان واضحا تماما بالنسبة لى ؛ فقد عرفت أنه لابد لى من اتخاذ قرار اما بالخروج نهائيا أو العودة للجسد .

ومن ناحية أخرى كان الموقف مدهشا ، وخالجنى شعور بالرغبة فى البقاء ، ولكن كان هناك شىء آخر مدهش ألا وهو احساس بأن هناك يجب أن أعود وأعيش « ودخلت ثانية فى جسدى الطبيعى ، وأنا أشعر

كما لو أننى توقفت عن استنزاف نفسى • وعلى أية حال بدأت أتعافى بعد ذلك) •

واحس آخرون بتأثير سماح الله أو الكائن النورانى لهم بالعودة للحياة ، اما استجابة لطلبهم بالعودة للحياة (لأن الطلب عادة لم يصدر عن الأنانية) أو لأن الله أو الكائن النورانى كان لديه رسالة يريدهم أن يؤدوها :

(كنت فوق المنضدة ولم أستطع أن أرى كل ما يعملونه • عرفت أننى ميت فهذه هى حالة المـوت ، ولكننى كنت مهتما بأطفالى ومن سيعولهم بعدى ، ولذلك لم أكن مستعدا للذهاب • وسمح الرب بعودتى للحياة) •

ويذكر أحد الأشخاص ما يلى :

(أقول أن الرب قد أحسن الى لأنه بعد موتى سمح للأطباء باعادتى للحياة لهدف معين هو مساعدة زوجتى لأنها تواجه مشكلة تتعلق بالدواء وأنها لا تستطيع أن تعده لنفسها بدون مساعدتى لها • انها تتحسن الآن وعليها أن تعمل الكثير تجاه الحياة التى عدت اليها) •

وأحست احدى الأمهات بما يلى :

(لقد أعادنى الرب الى الحياة ، ولكننى لا أعرف لماذا • لقد أحسست بوجوده هناك وعرفت أنه عرفنى وعرف من أكون ولكنه لم يشأ بقائى فى السماء ــ لماذا ؟ لا أدرى •• لقد فكرت فى ذلك عدة مرات، وأظن أن السبب هو وجود طفلين فى حاجة الى التربية أو لأننى أنا شخصيا لم أكن مستعدة للبقاء هناك • اننى مازلت أبحث عن الاجابة ولا أستطيع أن أتصورها فى لحظات • ولا شك ان حب وصلوات الآخرين لها تأثير

شـــديد فى استرجاع بعض الناس بعد الموت بصرف النظر عن رغباتهم الشـــخصية) •

(كنت بجوار عمتى الكبرى خلال مرضـــها الأخـــير وعملت على رعايتها • وطوال هذه الفترة كان جميع أفراد الأسرة يصلون من أجـــل اســـتعادة صحتها • وتوقفت عن التنفس عـــدة مرات ولكنهم استطاعوا اعادتها الى الحياة • وأخيرا نظرت الى فى أحد الأيام وقالت :

« جوان •• لقد كنت هناك ، بعيدا عن هذا العالم ، وما أجمل أن يكون الانسان هناك • أردت أن أبقى هناك ولكننى لم أستطع لأنك دائمة الصلاة من أجل بقائى معك • ان صلواتك تشدنى هنـــا فأرجوك ألا تصلى ثانية من أجل هذا البقاء » • وتوقفنا جميعا وبعد ذلك بقليـــل ماتت عمتى) •

قالت لى احدى السيدات ما يلى :

(قـــال الطبيب أننى توفيت ولكننى كنت أشعر بالحيـــاة • كانت التجربة التى مررت بها سعيدة جدا فلم أحس مطلقا بأى احساس سىء • وعندما عدت للحياة فتحت عينى فرأتنى أختى وزوجى ، واستطعت أن أشاهد احساسهما بالراحة والدموع تتســـاقط من أعينهما ، وعرفت أن عودتى للحياة قـــد منحتهما راحة عظيمة • وأحسست كما لو كنت قـــد استدعيت للعودة الى الحياة ، او أننى انجذبت للعودة من خلال الحب الذى بذلتـــه أختى وزوجى • ومن ذلك الحين اقتنعت بأن الآخـــرين يستطيعون اجتذابك للعودة الى الحياة) •

وصرح بعض الأشخاص بأنهم فى لحظات قليلة كانوا يعودون بسرعة خلال النفق المظلم الذى عبروه فى اللحظات الأولى من بداية التجربة وعلى

سبيل المثال يذكر أحد الذين ماتوا كيف أنه انجذب عائدا خلال واد مظلم • وعندما أحس بأنه يقترب من نهاية النفق سمع اسمه يدعى من الخلف ثم انجذب عائدا من نفس الفضاء الذى سبق أن عبره • وقليلون هم الذين ذكروا تجربة العودة والدخول فى أجسادهم الطبيعية • وتحدث معظمهم عن شعورهم بأنهم عند نهاية التجربة « أحسوا بالنعاس » أو دخلوا فى حالة اللاشعور ليستيقظوا بعـد ذلك ويجدوا أنفسهم فى أجسـادهم الطبيعيـة :

(لا أتذكر كيف كانت العودة الى جسدى • انها تشبه الانجذاب بعيدا ، ثم الذهاب للنـوم • وفجأة استيقظت ووجـدت نفسى نائما فى السرير • وكان الناس الذين فى الحجرة فى نفس أماكنهم التى شـاهدتهم فيها عندما كنت خارج الجسد وناظرا اليهم فى تلك الأماكن) •

ومن ناحية اخرى يتذكر البعض انجذابهم السريع فى طريق العودة الى أجسادهم الطبيعية عند نهاية هذه التجارب :

(كنت مرتفعا عند السقف ، أراقبهم وهم يعملون فى جسـدى • وعندما وضعوا صمامات الصدمات على صدرى وقفز جسمى مع الضغط، شعرت بنفسى أعود الى جسدى مثل ثقل يهوى سريعا • والذى أعرفه بعد ذلك أننى لبست جسدى مرة ثانية) •

وذكر آخر ما يلى :

(وقررت أن أعود ، وعندما بدأت فعلا شـعرت بأننى أعود الى جسدى فى شكل هزة أو صـدمة ، وأحسست بعدها أننى عبرت نفس الطريق عائدا الى جسدى) •

وفى بعض الحكايات التى اوردت الموقف بالتفصيل قيل أن العودة حدثت عن طريق الرأس :

(ظهر لى أن كيانى الجديد له نهايتان احداهما صغيرة والأخرى كبيرة • وعند نهاية الحادث الذى وقع لى وجدت هذا الكيان الذى كان معلقا فوق رأسي قد عاد ثانية • عندما خرجت من جسدى ظهر أن النهاية الكبرى هى التى خرجت أولا ولكن عند العودة لحظت أن النهاية الصغرى هى التى دخلت أولا) •

ويقول شخص آخر :

(عندما رأيتهم يسحبون جسدى ويخرجونه من تحت عجلة القيادة، شعرت كما لو أنهم كانوا يجروننى خلال منطقة ضيقة أظن أنها كانت أسطوانية مظلمة ، تحركت خلالها بسرعة عائدا الى جسدى • وعند ابتلاعى فى طريق العودة لاح ان الابتلاع بدأ من الرأس ودخلت الجسد من الرأس •

وكان من الطبيعى أن تستمر المشاعر والأحاسيس المرتبطة بهذه التجربة لفترة طويلة بعد انتهاء الأزمة العلاجية التى تعرضت لها :

١ ــ بعد عودتى كنت أصرخ لمدة أسبوع لأننى عدت لأعيش فى هذا العالم بعد أن شاهدت العالم الآخر ولم أكن أريد العودة •

٢ ــ عندما عدت رافقتنى بعض المشاعر العجيبة التى تمتعت بها هناك وقضيت عدة أيام واقعا تحت تأثيرها وحتى اليوم فاننى أشعر بها أحيانا •

٣ ــ هذه المشاعر تجل عن الوصف وظلت تغمرنى بطريقة لا انساها ومازلت أفكر فيها دائما) •

ابلاغ الآخرين

لابد من التأكيد على أن الشخص الذى مر بتجربة من هذا النوع لم يشك فى حقيقتها وأهميتها • وقد خرجت من المقابلات التى أجريتها بملاحظات ذات تأثير ملحوظ ومنها على سبيل المثال :

(عندما كنت خارج جسدى ذهلت لما يحدث لى ، فلم أستطع أن أفهم ما يجرى ولكنه كان حقيقيا • لقد رأيت جسدى بوضوح على بعد كبير • ولم يكن عقلى يستطيع فى تلك المرحلة أن يقرر شيئا فلم يشاركنى فى أى فكرة ولم يسبق لى أن تعرضت لمثل هذه الحالة الذهنية انها تختلف عن الهلوسة لأننى أصبت بالهلوسة مرة عندما أعطونى الكودايين فى المستشفى وكان ذلك قبل الحادث الذى قتلت فيه بمدة طويلة • ولم تكن هذه التجربة شبيهة بحالة الهلوسة مطلقا) •

وتصدر مثل هذه الملاحظات عن أشخاص قادرين على التفرقة بين الحلم والخيال من جانب والحقيقة من جانب آخر • ان الأشخاص الذين قابلتهم كانوا موظفين فى اعمال مختلفة ومتزنين ، ولم يسردوا تجاربهم كما لو كانت أحلاما بل كأحداث حقيقية حدثت لهم بالفعل • وبرغم تأكدهم من حقيقة وأهمية ما حدث لهم ، فانهم يعرفون فى نفس الوقت أن مجتمعنا المعاصر لا يمثل البيئة التى تتقبل هذه النوعية من التجارب بترحيب وفهم• حقا • ان الكثيرين ذكروا أنهم عرفوا منذ البداية أن الآخرين سيظنون أنهم قد أصابهم بعض الخلل العقلى اذا ذكروا لهم هذه التجارب ، ولذلك قرروا الامساك عن الخوض فى هذا الموضوع ولم يكشفوا عن تجاربهم هذه الا لبعض الخواص المقربين • يقول أحدهم :

(كانت مثيرة جدا • ولم أحب أن أسردها على مسامع الناس ، لأنهم فى هذه الحالة سينظرون الى نظرتهم الى المجنون) •

ويقول شخص آخر :

(لم أحدث أحدا بهذا الموضوع لفترة طويلة جدا . كنت أشعر بغرابة الموضوع وأن الناس لن يصدقوا أنني أقول الحقيقة لأنهم سيقولون : « أواه .. انك تؤلف هذه القصة الخيالية » . وفي احد الأيام قررت أن أسرد الحكاية قائلا :

« حسنا . أريد أن أرى كيف سيكون رد فعل أسرتي حيال هذه التجربة » . وسردتها عليهم ولكنني لم أسردها على مسامع أحد من خارج الأسرة حتى اليوم وأظن أن أسرتي ظنت ان القصة كلها من صنع الخيال).

وقد حاول آخرون أن يذكروا التجربة لبعض الناس من خارج الأسرة ولكنهم رفضوا الاستماع اليها بجفاء ولذلك قرروا أن يلتزموا الصمت :

(١ ـ كان الشخص الوحيد الذي حاولت أن أسردها على مسامعه هو أمي . فقد ذكرت لها فيما بعد ما شعرت به ولكنني كنت صبيا صغير السن فلم تهتم بأقوالي ، ولذلك لم أذكرها لأي شخص آخر) .

(٢ ـ حاولت أن أحكيها لمرشدي الروحي ولكنه قال لي انني وقعت ضحية الهلوسة ولذلك التزمت الصمت) .

(٣ ـ كنت معروفة لزملائي في المدرسة الابتدائية وأيضا المدرسة العالية وكنت أساير جماعة الزملاء كتابعة وليس كقائدة ولكنني بعد هذه التجربة ومحاولة سردها على مسامع الآخرين ظننت أنهم سيعاملونني كمجنونة . عندما أحاول أن أحدثهم بهذه التجربة سينصتون في شغف ولكنهم بعد ذلك سيقولون : « لقد أصبحت هوجاء حقيقة » . ؟اذا

أحسست بأنهم سينظرون اليها كقصة فكاهية لم أحاول أن اسردها على مسامع الآخرين ولم يخطر على بالى أن أحدهم سيقول : « لقد مررت أنا شخصيا بهذه التجربة » •

وأقول الآن أننا فى حاجة الى معرفة الكثير عن الحياة وهذا أمر لم أكن أعرفه من قبل وأظن ايضا أن غيرى لا يعرفه) •

(٤ ــ عندما استيقظت حاولت أن أحكى للممرضات ما حدث ، ولكنهن طلبن الى عدم الخوض فى مثل هذا الحديث لأنه مجرد تخيلات)•

ويقول أحد الأشخاص :

(انك تعلم أن الناس لن تتقبل الحديث فى هذا الموضوع بالسهولة التى تظنها ولذلك لا يمكنك أن تحكى هذه التجربة لكل من تقابله) •

وهناك حالة واحدة فقط حاول فيها أحد الأطباء أن يتقبل قصة تجربة حافة الموت ويشجع المتحدث على الادلاء بالمعلومات ، فقد ذكرت لى احدى الفتيات التى عاشت تجربة الخروج من الجسد ــ ما يلى :

(سألت أنا وأسرتى الطبيب المعالج عن رأيه فيما حدث لى ، فقال أن ذلك يحدث كثيرا عندما يتعرض أحد المرضى للألم الشديد أو الاصابات القاتلة فتخرج الروح من الجسد) •

وبالنظر الى حالة الشك وعدم التجاوب اللذين يستقبل الناس بهما الشخص عندما يحاول مناقشة تجربة حافة الموت ، فاننا لا نستغرب أن يشعر كل من مر بهذه التجربة بالوحدة وأن غيره لم يمر بمثلها • وعلى سبيل المثال قال لى أحد الأشخاص ما يلى : « لقد ذهبت الى مكان لم يذهب اليه أحد غيرى » • ولذلك كنت بعد أول لقاء لى مع الشخص الذى

يحكى كل تفاصيل تجربته ، أقول له أن اناسا آخرين قد ذكروا لى نفس الأحداث والانطباعات التى ذكرها ، فكان يشعر بالارتياح ويقول :

(انه لأمر مثير أن تكتشف أن أناسا آخرين قد عاشوا نفس التجربة لأننى لم أعرف ذلك •• اننى سعيد حقا لسماع هذا الكلام الذى يدل على أن هناك أشخاصا آخرين قد مروا بهذه التجربة • الآن فقط أعرف أننى لست مجنونا •

لقد كنت أشعر دائما بأن التجربة حقيقية ولكننى لم أسردها على مسامع احد لأنتى كنت أخشى أن ينظر نحوى ويقول : « عندما أصبت تأثر عقلك أيضا بالاصابة » •

وقلت لنفسى : لابد أن شخصا آخر مر بهـذه التجربة ولكننى لم أتقابل مع أى انسان يعرف أشخاصا آخرين مروا بها ولا أظن أن أحـدا يتحدث فى مثل هذا الموضوع • ولو جاءنى بعض الناس وحدثونى عن هذه التجربة قبل أن أمر بها لكان من المحتمل أن أنظر اليهم متعجبا ممـا يحاولون ان يجرونى اليه ، فهذا هو الأسلوب الذى يمكن للمجتمع أن يسـتخدمه) •

وهناك سبب آخر يفسر لمـاذا يحاول النـاس أن يذكروا تجاربهم للآخرين : انهم يشعرون بأن التجربة لا يمكن وصـفها لأنها ليست فى متناول اللغة والاصطلاحات البشرية المسـتخدمة فى التعبير عن الادراك والوجود ولذلك فان محاولة وصفها غير مجدية •

آثار التجربة

بالنظر الى الأسباب السابق ذكرها لم يجرؤ أحد من الذين عاشوا هذه التجربة على أن يتخذ لنفسه منبرا ويبشر الناس بما شاهده خلال هذه التجربة . لم يحاول أحدهم أن يقتنع بقدرته على تغيير معتقدات الآخرين فيحاول اقناعهم بحقيقة ما عاش فيه . حقا . ان الناس قليلى الكلام مع الآخرين حول ما يحدث لهم من تجارب غريبة . أما آثار هذه التجربة على حياتهم فيبدو أنها اتخذت أشكالا أخرى . وقد ذكر لى كثيرون أنهم شعروا بأن حياتهم أصبحت أرحب واعمق بعد هذه التجربة وذلك لأنهم صاروا أكثر تجاوبا واهتماما بقضايا الفلسفة الأخروية :

(فى هذا الوقت لم أكن قد ذهبت بعد الى الكلية ، كنت قد نشأت فى مدينة صغيرة بين أناس محدودى الأفق وهم الذين ارتبطت بهم . وعلى أى حال كنت أحد الطلبة المثاليين فى المدرسة العالية. ولكن بعد مرورى بهذه التجربة أردت أن أعرف معلومات أكثر عن هذا الموضوع بالرغم من اننى لم أتوقع أن أجد أحدا يعرف شيئا عنه ، لأننى لم أبرح عالم تلك المدينة الصغيرة ، لم اعرف شيئا عن علم النفس أو ما شابه ذلك ، وكل ما أعرفه اننى تقدمت فى السن بعد مرورى بهذه التجربة لأنها فتحت أمامى عالما جديدا لم أكن أدرى بوجوده . وكنت أفكر : «لقد اكتشفت الكثير ..» وبعبارة أخرى : « هناك أمور كثيرة فى الحياة أشد اثارة من الأفلام التى أشاهدها مساء كل يوم جمعة ومباريات كرة القدم . وهناك أيضا الكثير الذى لا أعرف عنه شيئا » . وحينئذ بدأت أفكر فى : « ما هى آفاق الانسان ، وما هى حدود العقل ؟ » لقد تفتحت أمامى آفاق عالم جديد).

ويقول شخص آخر :

(ومن ذلك الوقت فصاعدا انشغل عقلى دائما بسؤال حساس هو : ماذا فعلت بحياتى الماضية ، وماذا سأفعل بحياتى المستقبلة ؟ كنت راضيا

عن حياتى الماضية ولم اشعر بأننى مدين للعالم بشىء لأننى عملت كل ما أردته وبالطريقة التى أردتها وأننى مازلت حيا وأستطيع أن أعمل الكثير ولكننى منذ توفيت بدأت فجأة وبمجرد خروجى من التجربة أتعجب مما اذا كنت قد عملت الأشياء التى عملتها لأنها كانت حسنة أو لأننى استحسنتها لنفسى • فيما مضى كنت أتصرف كرد فعل للدوافع ، والآن أنا أمحص الأشياء بعقلى اولا جيدا وفى بطء • وكل شىء أهضمه بعقلى أولا • ثم أحاول أن أعمل الأشياء ذات المعنى الأعمق والتى تعطى عقلى ونفسى شعورابالارتياح وأحاول ألا أكون متحيزا، ولا أحكم علىالناس• انى أعمل الأشياء الحسنة وليست الأشياء التى أستحسنها • ويبدو ان فهمى للأشياء قد تحسن الآن كثيرا • وأشعر أن سبب ذلك هو ما حدث لى من خلال الأماكن التى ذهبت اليها والأشياء التى صادفتها أثناء هـذه التجربة) •

ويتحدث آخرون عن موقف أو نظرة جديدة نحو حياة العالم التى عادوا اليها • وتقول احدى السيدات ببساطة :

(هذه التجربة جعلت الحياة ثمينة عندى أكثر من ذى قبل) •

ويبين شخص آخر كيف أن :

(هذه التجربة كانت بركة لأننى قبل أن أتعرض لهذه الأزمة القلبية كنت مشغولا بالتخطيط لمستقبل أولادى وشديد الاهتمام باليوم الذى مضى ولم أستمتع فيه بملذات الحاضر • أما الآن فان موقفى مختلف) •

وذكر آخرون أن ما مروا به قد غير مفاهيم عقولهم وبين أهمية الجسد المادى فى موقفه المعارض للعقل ، ويأتى وصف ذلك كأحسن ما يكون فى تلك الكلمات التى نطقت بها سيدة عاشت تجربة حافة الموت فتقول :

(كنت فى كمال الوعى خلال هذه التجربة أكثر منى وأنا فى الجسد المـادى • وكان العقل خلالها هو مثار الاهتمام وليس شكل الجسم • لقد تغيرت حياتى كلها الى حياة جديدة ، ففى المـاضى كان كل اهتمامى منصبا على الجسد وما يتعلق بعقلى كان يسير حسبما اتفق ، ولكن بعـد هذه التجربة أصبح عقلى هو مركز الجاذبية وتقهقر الجسد الى الموضع الثانى • وأنا الآن لا أهتم حتى بأن يكون لى جسد لأن عقلى هو المهم)•

وفى عدد قليل من الحالات ذكر لى بعض الأشخاص أنهم بعد المرور بهذه التجربة اكتسبوا معرفة الملكات البديهية التى تحيط بالمـادة وتتفهم طبيعتهـا :

(١ ــ بعد هذه التجربة أحسست كما لو أننى قد امتلأت بروح جديد •• ومن ذلك الوقت فصاعدا ذكر لى الآخرون انه أصبح لى تأثير مهدىء عليهم خاصة عندما يكونون متضايقين واننى أصبحت الآن أكثر اندماجا مع الناس بحيث أستطيع استيعاب ما يتعلق بهم سريعا) •

(٢ ــ أحسست بأننى حصلت على شىء جـديد بسبب تجربتى الخاصة بالموت وأعنى بذلك الاحساس بحاجات الناس الآخرين فى حياتهم، فعندما كنت مع الناس فى مصعد العمارة التى بها محل عملى أحسست بأننى أستطيع أن أقرأ تعبيرات وجوههم وأعرف المعونة التى يحتاجون اليها ونوعها ، وقد تحدثت عدة مرات الى أناس من هذا النوع وصحبتهم الى مكتبى للنصح والتشاور) •

(٣ ــ منذ اصابتى ، خالجنى احساس بالقدرة على التقاط أفكار الآخرين وتذبذبهم أو امتعاضهم • صرت قادرا على معرفة ما سـيقوله الناس قبل ان ينطقوا به • أعرف أن الكثيرين لن يصدقونى ولكننى عشت فى تجارب غريبة منذ تلك التجربة • ففى احدى المرات حضرت حفلة وكنت ألتقط أفكار الآخرين • وحدث أن قام بعض الموجودين الذين لا يعرفوننى

وخرجوا لأنهم خشوا أن أكون ساحرا أو ما شابه ذلك • ولا أدرى هل اكتسبت هذه الموهبة أثناء موتى أو أنها كانت كامنة ولم أستخدمها حتى حدوث هذه التجربة) •

وهناك أيضا اتفاق ملحوظ فى الدروس المستفادة من تجربة حافة الموت فالجميع تقريبا ركزوا على اهميتها فى حياتهم خاصة الجانب المتعلق بزرع محبة الآخرين ، ومحبة الترابط الانسانى • لقد شعر أحد الذين تقابلوا مع الكائن النورانى بالمحبة الكاملة والقبول التام حتى عندما استعرض حياته على شكل شريط فى حضور الكائن النورانى • وشعر بأن السؤال الذى وجهه اليه كان يدور حول مقدرته على محبة الآخرين بنفس الأسلوب • وهو يشعر حاليا بأن رسالته على الأرض تنحصر الآن فى معرفة كيف يقدر على ممارسة هذه المحبة • وركز الكثيرون أيضا على أهمية البحث عن المعرفة فقد عرفوا خلال التجربة أن اكتساب المعرفة مستمر حتى فى الحياة الأخرى • وعلى سبيل المثال وجدت أن احدى السيدات قد انتهزت كل فرصة متاحة للتعلم بعد مرورها بتجربة الموت • ويقدم رجل آخر النصيحة قائلا : « بصرف النظر عن عمرك الحالى فلا تتوقف عن مواصلة التعليم لأنه عملية مستمرة الى مالا نهاية » •

ولم يذكر أحد ممن عاشوا هذه التجربة أنه خرج منها شاعرا بأنه قد تبرر أخلاقيا أو صار كاملا • ولم يقل أى منهم أنه أصبح اكثر قداسة من الآخرين • وفى الحقيقة فان معظمهم تحدث عن أنه لايزال يحاول ويبحث وأن هذه التجربة قد حركت لديه أهدافا جديدة ومبادىء أخلاقية جديدة ، وأمدته بالاصرار على محاولة الحياة حسب هذه المبادىء • ولكنهم لم يشعروا بالخلاص فى لحظة أو العصمة من الزلل •

نظرات جديدة للموت

من المنطقى أن يكون لهذه التجربة تأثير عميق على موقف الشخص من الموت الطبيعى خاصة بالنسبة لهؤلاء الذين لم يتوقعوا من قبل ان يواجهوا شيئا بعد الموت • وقد عبر لى كل منهم بصورة أو بأخرى عن أنه لم يعد يخاف الموت ، وهذا يحتاج الى تفصيل بالرغم من أن بعض أشكال الموت غير مرغوب فيها ، وأن أحدا من هؤلاء الأشخاص لم يكن يطلب الموت • انهم جميعا شعروا بأن لديهم أعمالا أو مهام يجب أداؤها أثناء حياتهم • لقد وجدتهم متفقين مع كلمات الرجل الذى قال لى : « لدى الكثير من التغييرات التى يجب أن أعملها قبل ان أترك العالم » • وعلى نفس المنوال ، لم أجد بينهم من يشجع الانتحار كوسيلة للعودة الى المجالات التى عاينوها خلال تجربتهم مع الموت • ان حالة الموت لم تعد الآن مرفوضة بالنسبة لهم • دعنا الآن ننظر فى بعض المقتطفات التى تعرض لهذه المواقف :

(١ — أظن أن هذه التجربة شكلت شيئا فى حياتى ، عندما حدثت كنت مجرد طفل فى العاشرة أما الآن فاننى بعد أن عشت حياتى كلها أصبحت مقتنعا بأن هناك حياة بعد الموت بدون أى ظل شك ولست خائفا من الموت • ان بعض الذين عرفتهم يخافون الموت بشدة ولكننى أبتسم لنفسى دائما عندما أسمع أن الناس يتشككون فى الحياة بعد الموت او يقولون أن « الموت يعنى الفناء » ، وأقول لنفسى « حقا • انهم لا يعلمون ») •

(٢ — عندما كنت صبيا صغيرا تعودت رهبة الموت • كنت أستيقظ ليلا صارخا وكانت أمى وأبى يندفعان الى حجرة النوم ويتساءلان عما حدث فكنت أقول لهما أننى لا أريد أن أموت ولكننى أعرف أنه

لابد من الموت ، وكنت أسألهما عما اذا كانا قادرين على منعه ، فكانت أمى تحدثنى قائلة : « لا .. انه طريق لابد من السير فيه وعلينا جميعا ان نواجهه » . وقالت أن كلا منا سيواجهه بمفرده ، وعندما يحين الأجل فان كلا منا سيعرف كيف يؤدى الدور جيدا . وبعد موت والدتى بعدة سنوات كنت أتحدث عن الموت مع زوجتى لأننى كنت أخشاه ولا أريد أن يحين أجلى .

ومنذ مرورى بهذه التجربة لم أعد أخشى الموت حيث تبددت هذه المشاعر ولم أعد أحس بالانقباض عند الجنازات . بل أشعر بالابتهاج لأننى أعرف ما يمر به الميت .

اننى أعتقد ان الرب قد سمح لى بهذه التجربة لتتبدل مشاعرى نحو الموت . وبالطبع كان والداى يهدئان من خوفى ولكن الرب أرانى مالم يستطع أحدهما أن يعمله . والآن أنا لا أتحدث عن ذلك كله ولكننى أعرفه ومقتنع به تماما) .

(٣ — اننى الآن لا أخشى الموت ، ولا يعنى ذلك أننى أتمناه أو أريد الرحيل الآن . اننى لا اريد أن أعيش فى العالم الآخر الآن فالمفروض أن أكون حيا هنا . أما سبب عدم خوفى من الموت فهو معرفتى بالمكان الذى سأذهب اليه عندما أرحل من هنا لأننى ذهبت اليه من قبل).

(٤ — كان آخر ما قاله النور قبل عودتى الى الجسد وحياة العالم يفيد بأنه سيعود مرة أخرى ، وأننى يجب أن أرجع وأعيش مرة أخرى ولكن سيحل وقت فيه يتصل بى مرة اخرى وعندئذ سأموت حقيقة .

انى أعرف أن النور سيعود وكذلك الصوت، ولكن متى؟ لا أدرى. وأظن أنها ستكون تجربة مماثلة ولكنها ستكون أفضل . وأنا منذ الآن.

أتوقع ولكننى غير متحير • اننى لست متعجلا العودة لأننى أريد أن أؤدى هنـا بعض الأعمال) •

أما السبب الذى يوضح لمـاذا لم يعد الموت مرعبا كما عبر عنـه هؤلاء جميعا ، فهو ان الشخص بعد هذه التجربة لا يشك فى اسـتمرار الحياة بعد موته • لم يعد الأمر مجرد احتمال بالنسـبة له ولكنه حقيقة قائمة على التجربة •

أذكر أننى منذ وقت طويل ناقشت عقيدة الفناء التى تقدم «النوم» و « النسيان » كنماذج للموت • ان الأشخاص الذين ماتوا ينكرون هذه النوعية من النماذج ويوافقون على تصوير الموت بأنه انتقال من حالة الى أخرى أو أنه دخول فى حالة أرفع من الشعور أو الوجود • وهناك احدى السيدات التى تقابلت مع أقاربها الموتى هناك لتحيتها عند موتها ، قارنت الموت بالعودة الى البيت • وآخرون شبهوا الموت بحالات نفسية ايجابية منها على سبيل المثال حالة الاستيقاظ من النوم ، أو التخرج من الكلية، أو الهروب من السجن :

(١ ــ يقول البعض أننا لا نستعمل كلمة « الموت » لأننا نحاول الهروب منه ، وهذا ليس صحيحا فى حالتى هذه ، لأنك اذا خضت التجربة التى خضتها أنا فستعرف من قلبك انه لا يوجد مثيل للموت لأنك تنتقل من حالة الى أخرى مثل الانتقال من المدرسة الابتدائية الى العالية ثم الى الكليـة) •

(٢ ــ ان الحياة الدنيا تشبه السجن وفى حالتنا هذه لا نعرف الى أى أنواع السجون تنتمى هذه الأجساد • ان الموت انطلاق يشبه الهروب من السجن وهذه أفضل مقارنة تصلح لفهم هذا الموقف) •

وحتى هؤلاء الذين كانت لديهم فكرة سيئة عن الحياة فى عالم ما بعد الموت يبدو أنهم تزحزحوا عنها درجات بعد تجربتهم للموت وفى الحقيقة لم أجد فى التقارير التى جمعتها أى شخص يحاول أن يعطينا صورة أسطورية لما يلى ذلك فلم يقدم أحد وصفا للسماء ذات البوابات المصنوعة من اللؤلؤ والشوارع الذهبية والملائكة الذين يعزفون على القيثارات ولا الجحيم المستعر اللهيب والجبابرة ذوى الحراب الثلاثية ، ولذلك ففى معظم الحالات لم يقدم أحد نموذجا يمثل العقاب فى حياة ما بعد الموت حتى بالنسبة للكثيرين الذين اعتادوا التفكير فى هذه الأمور فانهم أصيبوا بدهشة شديدة عندما عرضت أشنع وأشر أفعالهم أمام الكائن النورانى فلم تكن ردود الفعل لديه تصور الغضب أو السخط بل أبدى الكثير من التفهم والمرح • وبينما كانت احدى النساء تمضى فى هذا العرض أمام الكائن النورانى رأت بعض المواقف التى لم تستطع أن تلتزم فيها بروح المحبة بل أظهرت الأنانية ، ورغم ذلك فهى تقول :

« عندما وصلنا الى هذه المناظر ، قال أننى كنت أتعلم فقط حتى ذلك الوقت » • وبدلا من ذلك النموذج التقليدى ظهر أن الكثيرين قد عادوا بنموذج جديد وفهم جديد للعالم المادى • انها وجهة نظر جديدة لا تنطوى على أحكام ذات بعد واحد وانما تدل على نمو متوازن نحو الغاية الحتمية لمعرفة الذات ، وأن النمو الروحى بناء على هذه النظرة الجديدة خاصة فيما يتعلق بالامكانيات الروحية للحب والمعرفة لا يتوقف عند الموت وانما يستمر فى العالم الآخر بصفة دائمة وبعمق لا يمكن تصوره ونحن لانزال فى أجسادنا الطبيعية « ننظر من خلال زجاج معتم » •

التأييد

يبرز هنا سؤال طبيعي عما اذا كان من الممكن اكتشاف اى دليل يؤيد حقيقة تجارب حافة الموت منفصلا عن التجارب نفسها • لقد تحدث الكثيرون عن وجودهم خارج أجسادهم لفترات طويلة ورؤيتهم لأحداث عديدة فى العالم المادى خلال هذا الانفصال ، فهل من الممكن فحص أى من هذه الأحاديث بواسطة شهود آخرين كانوا حاضرين ، أو بأحداث تالية تؤكدها وتساندها ؟ ان الاجابة المدهشة لهذا السؤال هى « نعم »• وأكثر من ذلك نجد أن وصف الأحداث التى شوهدت أثناء الوجود خارج الجسد يمكن فحصها جيدا ، فعلى سبيل المثال ذكر لى بعض الأطباء أنهم ارتبكوا ازاء الكيفية التى استطاع بها المرضى الذين ليست لهم خلفية طبية أن يصفوا خطوات محاولة اعادتهم للحياة بهذه التفاصيل الدقيقة والصحيحة بالرغم من حدوث هذه المحاولات فى الوقت الذى كان فيه الأطباء متأكدين من موت هؤلاء المرضى •

لقد ذكر لى بعض الأشخاص فى حالات عديدة كيف أنهم أدهشوا أطباءهم بوصف الأحداث التى شاهدوها أثناء وجودهم خارج الجسد ، فعلى سبيل المثال ذكرت احدى الفتيات التى ماتت انها خرجت من جسدها ودخلت غرفة أخرى بالمستشفى حيث وجدت شقيقتها الكبرى تصرخ وتقول : « آه يا كاثى • من فضلك لا تموتى •• لا تموتى •• » وقد ارتبكت الأخت الكبرى فيما بعد عندما ذكرت لها كاثى أين كانت بالضبط وماذا كانت تقول حينذاك • ونجد فى القصتين التاليتين وصفا لموقفين مماثلين :

(١ ــ بعد أن انتهى كل شىء قال لى الطبيب أننى مررت بفترة عصيبة ، فقلت : « نعم • أعرف ذلك » • فقال : « حسنا •• كيف تعرف

ذلك ؟ » • فقلت : « لا أستطيع أن أذكر لك كل ما حدث » • فلم يصدقنى فسردت على مسامعه القصة كلها منذ أن توقفت عن التنفس حتى اللحظات التى عدت فيها الى الحياة » • وقد ارتاع حقا عندما اكتشف أننى أعرف كل ما حدث • لم يعرف حينذاك ماذا يقول ، ولكنه سألنى عدة مرات عن أشياء مختلفة حول الموضوع) •

(٢ ــ عندما استيقظت بعد الحادث ، كان ابى هناك • ولم أرغب حتى فى معرفة الشكل الذى صرت اليه أثناء التجربة ، أو الشكل الذى تصوره الأطباء عنى ، وكل ما أردت الحديث عنه هو التجربة التى مررت بها • وقد ذكرت لأبى من هو الشخص الذى جذب جسمى الى خارج المبنى ، حتى لون الملابس التى كان يلبسها ذكرته بوضوح ، وكيف أخرجونى ، وحتى المحادثة التى كانت تدور فى موضع الحادث تذكرتها كلها ، فقال أبى :

« حسنا •• ان كل ما ذكرته صحيح » • ولكننى كنت خارج الجسد طوال هذا الوقت ، ولم تكن هناك أية وسيلة أستطيع أن أرى أو أسمع بواسطتها كل هذه الأشياء وأنا خارج الجسد) •

وأخيرا استطعت فى حالات قليلة أن أحصل على شهادات لبعض الأشخاص تؤيد قيمة الأحداث التى وردت فى مثل تلك التقارير المستقلة فظهرت عدة عوامل متشابكة : أولها أن موقف التأييد نفسه قد صدق عليه الميت نفسه واثنان من أصدقائه المقربين ومعارفه • وثانيها أنه حتى فى أكثر الحالات التى جمعتها اثارة وعدت بألا أكشف عن الأسماء الحقيقية ، وحتى اذا فعلت فاننى لا أظن أن مثل هذه القصص المؤيدة يمكن أن تتخذ دليلا او برهانا وذلك للأسباب التى سأوضحها فى الفصل الأخير •

لقد وصلنا الآن الى نهاية عرضنا للمراحل والأحداث التى سمعناها عن تجربة الموت . وفى ختام هذا الفصل أود أن أذكر بالتفصيل قصة منفصلة تتضمن كافة العناصر التى ناقشتها . وبالاضافة الى ذلك فانها تتضمن وحدة متسقة لم تمر بنا من قبل ، وفيها نرى أن الكائن النورانى يخاطب الشخص الميت عن موته الذى يوشك أن يحدث مقدما ، ثم يقرر فيما بعد أن يعيده الى حياة العالم :

(عندما جرت هذه الأحداث كنت أعانى من مرض ربو شعبى شديد. وفى احد الأيام اصبت بنوبة من السعال الشديد أدى الى تمزق الجزء الأسفل من العمود الفقرى . وقضيت شهرين فى العرض على الأطباء لمعرفة اسباب الألم الشديد الذى يمزقنى واخيرا حولنى أحدهم الى جراح أعصاب هو الدكتور يات فاستعرض حالتى وقال أنه من الضرورى نقلى الى المستشفى فورا ، وعلى ذلك دخلت المستشفى ووضعونى فى موضع بعيد لعلاج الأعصاب.

وعرف الدكتور يات أننى مصاب بامراض خطيرة فى الجهاز التنفسى ولذلك استدعى أخصائيا فى أمراض الرئتين قال أنه لابد من استشارة الدكتور كولمان أخصائى التخدير اذا أردنا أن أنام . وعلى ذلك عمل طبيب الرئتين فىعلاجى حوالى ثلاثة أسابيع حتى وصلبى الى الحالة التىيستطيع عندها الدكتور كولمان أن يعالجنى . واتفق اخيرا على يوم الاثنين بالرغم من انه كان شديد القلق على حالتى . ثم رتبوا اجراء العملية يوم الجمعة التالى . وفى مساء الاثنين ذهبت للنوم وبالفعل نمت نوما مريحا حتى باكر صباح الثلاثاء عندما استيقظت وأنا احس بألم شديد ، فعدلت نفسى حتى أكون فى وضع مريح ، ولكن فى تلك اللحظة ظهر نور عجيب فى ركن الحجرة أسفل السقف ، كان على شكل كتلة نورانية تشبه الكرة ولم تكن كرة كبيرة الحجم بل كان قطرها يتراوح ما بين اثنى عشرة الى خمسة عشرة بوصة . ومع ظهور هذا النور غمرنى احساس غريب لا أستطيع القول بانه احساس مقبض للصدر لانه لم يكن كذلك . كان احساسا بالسلام الكامل والراحة القصوى . واحسست بيد تمتد الى من النور وسمعته يقول : ((تعالى معى . اريد أن اريك شيئا .)) وفى الحال رفعت يدى سريعا وبدون تردد لمست اليد التى رأيتها . وعندما فعلت ذلك داخلنى احساس بالارتفاع واننى قد خرجت من جسدى . ونظرت خلفى فرايت جسدى ممدا على

السرير بينما كنت انا ارتفع نحو سقف الحجرة . وعند هذه اللحظة وبمجرد أن بارحت جسدى اتخذت نفس شكل النور . وخالجنى شعور ساحاول ان أصفه بالفاظى الخاصة لأننى لم أسمع احدا يتحدث من قبل عن شيءمثل هذا . لابد أن يكون الشكل روحا لأنه لم يكن جسدا بل مجرد خيط او عمود من الدخان أو البخار . كان يبدو مثل سحابة الدخان المنبثقة من السيجارة والتى تراها عندما تشعل السيجارة وتقربها من المصباح . واظن أن الهيئة التى اتخذتها كانت ملونة بالألوان الواضحة واعتبرتها من جانبى خليطا من اللونين النيلى والأزرق . ولم تتخذ هذه الهيئة الروحية شكل الجسد بل كانت أكثر أو أقل استدارة ولكن كان لها يد . اعرف ذلك ، لأنه عندما اقترب منى النور قربت منه يدى واستمر ذراعى ويدى متصلين بجسدى لأننى كنت اراهما موضوعين بجانب الجسد المسجى على السرير عندما ارتفعت نحو النور . ولكن عندما كنت لا أستعمل هذه اليد الروحية كان الروح يعود الى شكله الدائرى .

وعلى ذلكانجذبت نحو نفس الموضعالذى كان فيه النور ، وبدأناالتحرك من خلال سقف وحائط حجرة المستشفى الى المعر ومن خلال المعر هبطنا السلم الى دور سفلى من أدوار المستشفى . ولم نجد صعوبة فى العبور خلال الأبواب والحوائط لأنها كانت تتلاشى عندما نقترب منها .

وخلال هذه الفترة بدا كما لو كنا مسافرين . أعرف أننا تحركنا ولكننا كنا نتحرك بدون الأحساس بالسرعة . وفى لحظة سريعة جدا عرفت أننا وصلنا غرفة الانعاش الخاصة بالمستشفى . وحتى هذه اللحظة لم أكن أعرف مكان حجرة الانعاش ولكننا دخلناها . ومرة اخرى وجدت اننا فى ركن الحجرة بالقرب من السقف مرتفعين اعلى من اى شىء آخر . ورأيت الأطباء والممرضات يتنقلون فى ملابسهم الخضراء ورأيت الأسرة المصفوفة هناك .

ثم قال لى ذلك الكائن أنه أرانى ((هذا المكان الذى ستذهب اليه عندما يحملونك من منضدة العمليات لأنهم سيضعونك فى هذا السرير ولكنكلن تبرحه ثانية . ولن تدرى شيئا بعد ذهابك الى غرفة العمليات حتى اعود مرة أخرى لآخذك بعد ذلك بقليل .)) والآن اقول أن هذا الحديث جرى بالكلمات ، ولم يكن الصوت مسموعا لأنه لو كان كذلك لأستطاع باقى الموجودين فى الغرفة أن يسمعوه ولكن ذلك لم يحدث . لقد كان الحديث

فى شكل احساس وصلنى ولكنه كان واضحا بحيث لا استطيع القول باننى لم أسمعه أو احس به لأنه كان موجها نحوى بالذات .

اما عن مشاهداتى حينذاك ـ فيمكن القول بأنه اصبح من السهل ان اتعرف على الأشياء وأنا فى هذه الهيئة الروحية واصبحت أتجول وألاحظ ((ماهذا الذى يحاول أن يجعلنى أراه)) وسرعان ما عرفته لأنه كان فى العقل بلا شك . انه السرير الذى على يمينك أثناء دخولك من الممر انه السرير الذى سأنقل اليه وقد أحضرنى هنا لهدف ، وسرعان ما ذكر لى السبب ويتلخص فى أنه لا يريدنى أن أخاف عندما تخرج روحى من جسدى وأنه أرادنى أن أعرف أن احساسى هذا سيحدث فقط عند عبور هـذه النقطة وأراد أن يؤكد لى أننى لن أخاف لأنه كان يؤكد أيضا أنه لن يحضر سريعا فلابد لى من عبور بعض الأشياء فى البداية ولكنه سيظلل كل ما يحدث ثم يظهر لى فى النهاية .

ثم صحبته سريعا خلال الرحلة الى حجرة الانعاش وتحولت انا الى روح بطريقة تبدو كما لو كنا قد انصهرنا فى شخص واحد ولكننا كنا اثنين منفصلين بالطبع . كان يتحكم تماما فى كل ما يحدث لى ، وحتى عنـدما كنا ننتقل من خلال الحوائط والأسقف وغيرها كنا على اتصال وثيق بحيث أننى لم أجد صعوبة بالمرة . ومرة أخرى أقول أننى كنت فى حالة سلام وهدوء وصفاء لم أجدها فى أى مكان آخر .

وبعد كل ذلك أعادنى الى حجرتى بالمستشفى . وعند عودتى رأيت جسدى مرة أخرى وهو لا يزال مسجى فى نفس المكان الذى تركناه فيه . وفى أسرع من لمح البصر دخلت فيه مرة أخرى . الأن أستطيع التخمين بأننى خرجت من جسدى خمس أو عشر دقائق ولكن مرور الوقت لم يؤثر فى هذه التجربة ، والحقيقة أننى لم أفكر فى تحديد الفترة الزمنية التى استغرقتها التجربة .

لقد أدهشنى الموقف كله لأنه كان واضحا وحقيقيا جدا . انها أكثر من تجربة عادية . وفى الصباح التالى لم أشعر بأى خوف ، وعندما بدأت احلق ذقنى لاحظت أن يدى لا ترتعش كما كان منذ ستة او ثمانية اسابيع مضت وعرفت أننى كنت سأموت ولكننى لم أحس بالأسف أو الخوف ، ولم يخالجنى أى تفكير حول ((ماذا افعل لامنع حدوث ذلك ؟)) لقد كنت مسـتعدا .

وبعد ظهر الخميس وبعد اليوم السابق للعملية فى الصباح التالى ، كنت فى غرفتى بالمستشفى شاعرا بالانهاك . وكنت انا وزوجتى قد تبنينا ابن أختى وكانت لنا عدة مشاكل معه فقررت ان اكتب خطابا الى زوجتى وآخر الى ابن أختى مفرغا متاعبى فيهما ومخبئا الخطابين حيث لا يمكن الاهتداء اليهما حتى انتهاء العملية . وبعد ان انهيت كتابة صفحتين من خطابى الى زوجتى بدأت اطلق العنان لعواطفى وفجـأة انفجرت باكيا . وشعرت بوجود شخص فظننت للوهلة الأولى أن صوت النحيب قد ارتفع حتى اقلقت احدى الممرضات وأنهن قد حضرن لرؤية ما الم بى من خطب ، ولكننى لم اسمع صوت انفراج الباب . ومرة اخرى أحسست بهذا الوجود ولكننى فى هذه المرة لم اشاهد أى نور . واكتنفتنى الأفكار كالمرة السابقة وسمعته يقول ((جاك .. لماذا تبكى ؟ ظننت انك ستفرح لوجودك معى)) فقلت :ـ ((نعم أريد أن أمضى معك بعيدا)) فقال الصوت : ((فلماذا تبكى اذن ؟)) فقلت ((اننا نعـانى من بعض المضايقات مع ابن أختى كمـا تعلم واخشى الا تعرف زوجتى كيف تربيه . أننى احاول أن اصوغ فى عبارات واضحة ما أحس به وما أريدها أن تعمله معه . اننى شديد الاهتمام أيضا لأننى اشعر أنه ربما كان وجودى سببا فى استقراره الى حد ما .))

ثم واتتنى الأفكار من هذا الكائن قائلا : ((مادمت تسال عن شخص آخر وتفكر فى الآخرين وليس فى ذاتك فأعطيك ما تريد ، ستعيش حتى ترى ابن أختك رجلا)) وعندئذ مضى بعيدا وتوقفت عن البكاء ومزقت الخطاب حتى لا يقع فى يد زوجتى مصادفة .

وفى هذا المساء حضر الدكتور كولمان وقال لى انه كان يتوقع الكثير من المتاعب عند محاولة دفعى الى النوم ، اما انا فلم أستغرب أن أستيقظ فاجد حولى كمية من الأسلاك والأسـطوانات والآلات . لم اقص عليـه الأحداث التى مررت بها ولذلك اكتفيت بأن أومىء برأسى قائلا أننى سأكون متعـاونا .

وفى صباح اليوم التالى استغرقت العملية وقتا طويلا ولكنها سـارت على ما يرام . وعندما كنت أستعيد الوعى كان الدكتور كولمان الى جانبى فقلت له: ((اننى أعرف تماما أين أنا)) فسألنى : ((فى اى سرير أنت ؟)) فقلت: ((اننى فى اول سرير على يمينك وأنت تدخل من الصالة)) فضحك وظن أننى فقدت الاحساس البدنى وأتكلم من اللاشعور .

أردت أن أقص عليه ما حدث ولكن دخل الدكتور يات فى سرعة وقال: ((انه مستيقظ الآن ، فماذا تريد أن تفعل ؟)) فقال الدكتور كولمان : ((ليس هناك شيء أستطيع أن أعمله ، فلم أشعر بالبهجة طوال حياتى كما أشعر بها الآن ، فهاأنذا ومعى جميع هذه المعدات ولكنه لا يحتاج الى شيء)) فقال الدكتور يات : ((أنت تعرف الآن أن المعجزات موجودة)) ولذلك عندما استيقظت استطعت أن أقوم فى السرير وانظر حولى فى الحجرة ورأيت أننى فى نفس السرير الذى أرانى اياه النور منذ عدة أيام مضت)) .

والآن مضى على كل ذلك ثلاث سنوات ولكن الأحداث لا تزال واضحة كما كانت حينذاك .ان هذه التجربة هى أغرب ما مر بى طوال حياتى ، وكانت سببا فى تغييرات كبيرة ولكننى لا أتحدث عنها . لقد سردتها فقط على مسامع زوجتى وأخى ورئيسى ومرشدى الروحى وأخيرا أنت . اننى لا أعرف كيف أسردها وذلك أمر يصعب شرحه . ولا أحاول أيضا أن أحدث فرقعة ضخمة أو أتباهى . وليست عندى الآن أية شكوك . اننى أعرف أن هناك حياة بعد الموت) .

(٣)

الشـــواهد

ان أحداث المراحل المختلفة لتجربة الموت نادرة وغير عادية • وقـــد عشت فى دهشة من هذه التجربة طوال السنوات العديدة التى اهتديت خلالها الى عدد من الشواهد التى تساندها • وهذه الشواهد موجودة فى الكتابات القديمة أو السرية جدا من آداب الحضارات والثقافات والعصور العديدة والمتباينة الاختلاف •

الكتاب المقدس

نعتبر فى مجتمعنا أن الكتاب المقدس ـ من حيث القراءة والمناقشة ـ هو الكتاب الأوسع انتشارا بين الكتب التى تعالج الأمور المتعلقة بطبيعة الجانب الروحى للانسان وطبيعة الحياة بعد الموت • وعموما فان الكتاب المقدس يسرد القليل عن الأحـــداث التى تكشف عن الموت أو الطبيعة الثمينة لعالم ما بعد الموت • وينطبق هذا الكلام على العهد القديم ، حيث يذكر بعض دارسى الكتاب المقدس أن هناك نصين فقط فى العهد القديم كله يتحدثان صراحة عن الحياة بعد الموت : اشعياء ٢٦ : ١٩ ـــ « تحيا أمواتك • تقوم الجثث • استيقظوا ترنموا يا سكان التراب لأن ••• والأرض تسقط الأخيلة » •

ثم ، دانيال ١٢ : ٢ ـــ « وكثيرون من الراقدين فى تراب الأرض يستيقظون ، هـــؤلاء الى الحياة الأبدية وهـــؤلاء الى العار للازدراء الأبدى » •

لاحظ أن النصين يتحدثان كلاهما صراحة ويشددان على حدوث قيامة للأجسام المـادية مع مقارنة حالة الموت هنا بالنوم •

وكما رأينا فى الفصـل السابق فان بعض الأشـخاص أظهر تأثره بالمفاهيم الكتابية عند محاولة تفسير أو توضيح ما حدث له • ولعلنـا تتذكر أن أحدهم وصف الظلام الذى دخل فيه لحظة الموت حسب قول الكتاب « وادى ظل الموت ــ مز ٢٣ : ٤ » • وذكر شخصان قول السيد المسيح : (أنا هو نور العالم ــ يو ٨ : ١٢) وبناء على هذا القول ذكر الشخصان ان النور الذى التقيا به كان هو السيد المسيح • لقد قال لى أحدهما : « لم أر شخصا فى مثل هذا النور ، وبالنسبة لى كان النور هو السيد المسيح • وأظن أن السيد المسيح عندما قال عن ذاته أنه نور العالم كان يعنى الادراك التام والاتحاد بكل الأشياء والحب الكامل »

وبالاضافة الى ذلك فاننى خلال قراءاتى وجدت بعض الشـواهد التى لم يتعرض لها أحد من الذين كانوا موضوع البحث وأكثر هـذه الشواهد اثارة وجدته فى كتابات القديس بولس الرسـول الذى كان مضطهدا للمسيحيين حتى صادف رؤياه المشهورة فى الطريق الى دمشق ــ وقد جاء وصف ذلك فى سفر أعمال الرسل ٢٦ : ١٣ ــ ٢٦ ــ كما يلى :

(رأيت فى نصف النهار فى الطريق أيها الملك نورا من السماء أفضل من لمعان الشمس قد أبرق حولى وحول الذاهبين معى فلما سقطنا جميعا على الأرض سمعت صوتا يكلمنى ويقول باللغة العبرانية : « شـاول شاول لمـاذا تضطهدنى ــ صعب عليك أن ترفس مناخس » فقلت أنا : « من أنت يا سيد » فقال : « أنا يسوع الذى أنت تضطهده • ولكن قم وقف على رجليك لأنى لهذا ظهرت لك لأنتخبك خادما وشاهدا بما رأيت وبما سأظهر لك به ••• » •

من ثم أيها الملك أغريباس لم أكن معاندا للرؤيا السماوية ••• وبينما هو يحتج بهذا قال فستوس بصوت عظيم « انت تهذى يا بولس • الكتب الكثيرة تحولك الى الهـــذيان » • فقال : « لست أهـــذى أيها العزيز فستوس بل أنطق بكلمات الصدق والصحو ») •

ان هـــذا النص يحمل بعض الشبه بما ورد فى الحكايات التى ذكر فيها الوجود فى حضرة الكائن النـــورانى أثناء تجارب حافة المـــوت • أولا : أن الكائن كانت له شخصية بالرغم من عدم رؤية شكل مادى له• وقد خرج منه صوت يسأل الأسئلة ويعطى التعليمات • وعندما حاول بولس أن يذكر القصة للآخرين سخروا منه ووصفوه بالجنون • وأيضا فان الرؤيا قد غيرت حياته ، فمن ذلك الوقت فصاعدا أصبح القائد المدافع عن المسيحية كطريق للحياة يدعو الى محبة الآخرين •

وبالطبع فان هنـــاك اختلافات منها أن بولس لم يمر بتجربة حافة الموت خلال الرؤيا • وأيضا يذكر لنا أنه صـــار أعمى بسبب النور ولم يستطع أن يرى شيئا خلال الأيام الثلاثة التالية • وهـــذا يخالف تقارير هؤلاء العائدين الذين قالوا أن النور كان مبهرا بصورة لا يمكن وصفها الا أنه لم يسبب لهم العمى أو يمنعهم من رؤية الأشياء التى حولهم • ويقول بولس الرسول خلال مناقشاته لطبيعة الحياة بعد الموت أن البعض يتحدى مفهوم المسيحية للحياة بعد الموت متسائلا عن نوعية الجسم الذى سيكون للأموات :

(لكن يقول قائل كيف يقام الأموات وبأى جسم يأتون ؟ يا غبى •• الذى تزرعه لست تزرع الجسم الذى سوف يصـــير بل حبة مجردة •• ولكن الله يعطيها جسما كما اراد ولكل واحد من البزور جسمه •• وأجسام سماوية وأجسام أرضية لكن مجد السماويات شىء ومجد الأرضيات شىء

آخر •• هكذا أيضا قيامة الأموات يزرع فى فساد ويقام فى عدم فساد يزرع فى هوان ويقام فى مجد •• يزرع فى ضعف ويقام فى قوة •• يزرع جسما حيوانيا ويقام جسما روحانيا •• يوجد جسم حيوانى ويوجد جسم روحانى •• هوذا سر أقوله لكم : لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغير فى لحظة فى طرفة عين عند البوق الأخير فانه سيبوق فيقام الأموات عديمى فساد • ــ كورنثوس الأولى ١٥ : ٣٥ ــ ٥٢) •

من المهم القول بأن الموجز الذى قدمه بولس الرسول لوصف طبيعة « الجسد الروحى » يتطابق تماما مع حكايات هؤلاء الذين خرجوا من أجسادهم • وفى جميع الحالات فان أبدية الجسم الروحى ، وعدم وجود هيئة مادية له ، قد أكدوها مثلما أكدوا عدم محدوديته • ويقول بولس الرسول على سبيل المثال أنه بينما يكون الجسد المادى ضعيفا وفاسدا فان الجسد الروحى سيكون قويا وممجدا • ويذكرنا هذا باحدى حكايات حافة الموت التى ظهر خلالها الجسد الروحى كاملا حتى أنه عندما أمكن رؤية الجسد المادى فانه كان مختلفا عن الجسد الروحى • وهناك اختلاف آخر يتلخص فى أن الجسد الروحى لا يمكن تحديد عمر زمنى له أى أنه غير محدود بالزمان •

أفلاطون

أما الفيلسوف أفلاطون أحد عظماء المفكرين فى كل العصور والذى عاش فى أثينا ما بين عامى ٤٢٨ ــ ٣٤٨ ق•م • فقد ترك لنا تراثا فكريا يشتمل على اثنتين وعشرين مسرحية أو محاورة يقدم فى معظمها معلمه سقراط كمتحدث وعدد قليل من الخطابات •

كان أفلاطون يؤمن تماما باستخدام السببية والمنطق والحوار فى الوصول الى الحقيقة والحكمة ولكن الى حد معين لأنه كان واسع الخيال

حتى توصل الى أن الحقيقة المطلقة لا تتكشف للانسان الا من خلال تجربة سرية للاستنارة ونادى بفكرة وجود مستويات وأبعاد للحقيقة فيما وراء العالم الطبيعى المحسوس وآمن بأن مجالات الطبيعة لا يمكن فهمها الا بالعودة الى تلك المستويات الأعلى للحقيقة •

وعلى ذلك أهتم مبدئيا بعنصر الشعور المعنوى للانسان ـ الروح ـ وأعتبر أن الجسد المادى هو المركبة المؤقتة التى تمتطيها الروح •

ومما لا يثير الدهشة ان يهتم بالروح ومصيرها بعد الموت الطبيعى وأن العديد من محاوراته خاصة محاورات فيدون وجورجياس والجمهورية تعالج فى بعض جوانبها هذا الموضوع •

وتمتلىء كتابات أفلاطون بأوصاف الموت التى تتشابه مع تلك التى ناقشناها فى الفصل الماضى ؛ فهو على سبيل المثال يعرف الموت بأنه انفصال الجزء المعنوى من الانسان أى الروح عن الجزء المادى أى الجسد • وأكثر من ذلك أن ذلك الجزء المعنوى من الانسان يخضع لبعض القيود على خلاف الجزء المادى • ومن ذلك أن أفلاطون خصص عدة عناصر بالذات من بينها أن الزمان ليس عنصرا معدودا بين عناصر ما وراء العالم المادى المحسوس • أما العناصر الآخرى فهى الأبدية ممثلة فيما أورده فى عبارته الصارخة (ان ما نطلق عليه اسم الزمان ليس الا « الحركة او الانعكاس غير الحقيقى للأبدية ») • ويناقش أفلاطون فى العديد من كتاباته كيف أن الروح التى تنفصل عن جسدها قد تتقابل وتتخاطب مع أرواح الآخرين الذين رحلوا . وتجد الأرواح الحارسة التى ترشدها خلال الانتقال من الحياة المادية الى العالم الآخر ، ويذكر كيف يتوقع البعض أن يلتقى عند الموت بقارب ينقلهم خلال مانع مائى الى « الشاطىء الآخر » للحياة بعد الموت •

وفى محاورة فيدون نجـد أن التركيب الدرامى والحوار والكلمـات المسـتعملة كل ذلك يقودنا الى نتيجة منطقية وهى أن الجسد سـجن للروح ، وبناء على ذلك فان الموت هروب أو انطلاق من هذا السـجن وكما رأينا فى الفصل الأول فان أفلاطون تلقى عن سقراط النظرة القديمة للموت باعتباره نوما ونسيانا . وهو يفعل ذلك فقط لكى يقلبه لاظهار الوجه الآخر • وفى رأى أفلاطون ان الروح تدخل الجسد المـادى قادمة من مصدر أسمى وأكثر قدسية واعتبر أن الولادة هى النوم والنسـيان لأن الروح فى الكائن الذى يولد بالجسد تتحول من حالة الادراك العظيم الى حالة أقل ادراكا وفى نفس الوقت تنسى الحقائق التى كانت تعرفهـا عندما كانت فى حالتها السابقة غير المتجسدة • أما الموت فهو يكنى عنـه بالاسـتيقاظ أو التذكر • ويذكر أفلاطون أن الروح التى انفصلت عن الجسد بالموت تستطيع أن تفكر وتعقل الأمور اوضح من قبل ، وتستطيع أن تكون أكثر استعدادا لمعرفة الأشياء فى طبيعتها الحقيقية ، وأكثر من ذلك فانها بعد الموت مباشرة تواجه « محاكمة » يورد كائن مقدس من خلالها جميع الأعمال الصالحة والشريرة التى عملها الانسان خلال حياته المـادية ــ أمام الروح ويجعلها فى مواجهة مع أعمالها •

ونجد فى الكتاب العاشر من « الجمهورية » شبها صارخا لجميـع ما يجرى ، ففيها يذكر أفلاطون الأسطورة الخاصة بـ « ار » وهو جندى اغريقى كان قد شارك فى معركة حربية قتل فيها الكثير من الاغريق ، وعندما ذهب مواطنوه لجمع الجثث كان جسده بينها • كان مسجى مع الآخرين على منضدة جنائزية تمهيدا لحرقه ، وبعد وقت قصير فان جسده أفاق وبعد ذلك وصف ما رآه خلال رحلته الى العالم الآخر • فى البداية ذكر أن روحه فارقت جسده والتحقت بعـدد آخر من الأرواح وذهبوا جميعا الى موضع فيه فتحات أو ممرات تقودهم من الأرض الى مجالات

الحياة الأخرى • وهنا أوقفت الأرواح الأخرى وحوكمت امام كائنات مقدسة كانت ترى فى لمحة واحدة من خلال عرض سريع جميع الأعمال التى عملتها الروح خلال وجودها فى الحياة المادية أما ار فلم يحاكم وبدلا من ذلك طلبت اليه الكائنات المقدسة أن يعود لابلاغ الناس فى العالم المادى صورة لما عليه العالم الآخر • وبعد مشاهدة بعض المناظر الأخرى أعيد ار ولكنه لم يكن يعرف كيف عاد الى جسده المادى لأنه استيقظ ووجد نفسه فوق المنضدة الجنائزية •

ومن المهم أن نضع فى فكرنا أن أفلاطون نفسه يحذرنا مبينا أن الوصف الموجز الذى قدمه للعالم الذى ستذهب اليه الروح بعد الموت ليس الا « احتمالا » على أحسن الفروض بالرغم من أنه لم يشك فى بقاء الانسان بعد الموت • ويصر على أنه فى محاولته تفسير الحياة الأخرى بينما هو يعيش فى عالمنا المادى انما يجعلنا نجابه ميزتين : الأولى ان أرواحنا سجينة فى أجسادنا المادية وعلى ذلك فهى مقيدة فيما تستطيع أن تجربه وتتعلمه بحواسنا المادية وهى الرؤية والسمع واللمس والتذوق والشم وكل من هذه الحواس تقيدنا بطريقتها الخاصة • فالعيون قد تجعل شيئا عظيما يبدو ضئيلا اذا كان بعيدا • ونحن قد لا نسمع جيدا ما يقوله شخص آخر ، وهكذا • وكل ذلك يقودنا الى ابداء آراء أو أحاسيس زائفة حول طبيعة الأشياء ، ولذلك فان أرواحنا لا تستطيع أن ترى الحقيقة المجردة حتى تتحرر من ارتباكات وانحرافات الحواس الطبيعية •

وتتلخص الثانية فى قول أفلاطون أن اللغة البشرية قاصرة عن التعبير عن الحقائق العليا مباشرة • فالكلمات قد تخفى بدلا من أن تكشف الطبائع الداخلية للأشياء • ويلى ذلك أن الكلمات البشرية قادرة على الفعل أكثر من قدرتها على البيان سواء عن طريق التمثيل من خلال

الأسـطورة أو بطرق أخرى غير مباشرة وذلك عندما تصـف الطبيعة الحقيقية لمـا وراء المجالات الطبيعية •

كتاب التبت عن الموتى

جمع هذا الكتاب تعاليم حكماء التبت خلال قرون عديدة من تاريخ التبت القديم وحفظته الأجيـال القديمة شـفاهة ، وتم تدوينه فى القرن الثامن الميلادى ، وحتى بعد ذلك التاريخ ظل مخفيا كأحد الأسرار التى لا يجوز للذين هم من خارج أن يطلعوا عليها •

أما الكتاب نفسه فقد تشكل حسب الاستعمالات العـديدة التى وضع من أجلها • وأولها أن الحكماء الذين كتبوه قد اعتبروا الموت شيئا يمكن أداؤه ببراعة أو بطريقة غير لائقة اعتمادا على احاطة الشـخص بالمعلومات الضرورية لهذا الأداء • ولذلك فان الكتاب كان يقرأ كأحـد مراسم الاحتفالات الجنائزية أو يقرأ على مسامع الشخص الذى يحتضر فى لحظاته الأخيرة • وعلى ذلك يظن أنه يخدم غرضـين • الأول هـو مسـاعدة الميت على معرفة طبيعة كل ظاهرة عجيبة اثناء مروره بهـا • والثانى مساعدة الذين لايزالون فى الحياة الدنيا على التفكير الايجابى وألا يشدوا الميت اليهم بما يبدونه من الحب والاهتمام العاطفى وبذلك يستطيع أن يدخل فى مستوى الحياة بعد الموت وهو مهيأ عقليا ومتحرر من كافة اهتمامات الجسـد •

ولتحقيق هذين الغرضين يشتمل الكتاب على وصف مطول للمراحل المختلفـة التى تمر بها الروح بعد الموت المـادى • والعـلاقة التى بين المراحل الأولى للموت التى يعرضها وبين تلك التى قدمها لى هـؤلاء الذين عاشوا تجربة حافة الموت ليست علاقة خيالية ففى البداية نجد فى

كتاب التبت أن عقل أو روح الميت تخرج من الجسد وبعد وقت قليـل يدخل الميت فى اغماءة فيجد نفسه فى فضاء ـ ليس فضاء ماديا ولكنـه نوع له حدود خاصة به ، وفى نفس الوقت يتمتع فيه الميت بكامل الوعى. قد يستمع الميت الى ضجة أو أصوات تثير الضيق والقلق يمكن وصفها كزئير أو رعد أو أصوات صفير مثل تلك المنبعثة من الرياح ، ويجد نفسه مع ما يحيط به وقد دخل فى غلاف من السحاب الرمادى .

ويشعر بالغرابة حيـال وجوده خارج جسده المـادى . وفى نفس الوقت يرى ويسمع أقاربه وأصـدقاءه ينوحون على جثته ويعـدونها للجنازة ، وعندما يحاول مخاطبتهم فانهم لا يسـمعونه ولا يرونه . انه لا يعرف حتى الآن انه ميت ، ولذلك يحس بالضيق والحرج ثم يسـأل نفسه عما اذا كان ميتا أم لا ، وعندما يعرف أخيرا أنه ميت فانه لا يعرف الى أين يذهب أو ماذا يفعل ويغمره شعور بالأسف العميق ويحزن للحال الذى صار اليه . ويبقى لحظة بقرب الأماكن التى اعتادها خلال حيـاته المـادية ويلاحظ أنه لا يزال داخل جسد ـ أطلق عليه اسم « الجسـد المنير » ويعرف أن هـذا الجسد ليست له طبيعة مادية وعلى ذلك فانه يستطيع المرور من خلال الصـخور والحوائط وحتى الجبـال دون أية مقاومة ، أما السفر فانه يحدث فى طرفة عين لأنه يصل المكان الذى يود الذهاب اليه فى لحظة . أما تفكيره وادراكه فقد اصبحا أكثر حدة وكمالا وأقرب الى القدسية .

واذا كان أعمى أو أصم أو أعرج خلال حياته المـادية فانه يعجب حينما يجد أن جميع حواس وقوى جسده المـادى قد اكتملت وتركزت فى جسده المنير . وقد يلتقى بكائنات أخرى لها نفس الجسد الجديد كما أنه قد يتقابل مع ما أطلق عليه اسم : النور الصافى . وينصح حكماء التبت

الميت الذى يقابل هذا النور ان يحاول الشـعور بالحب والعاطفة نحو الآخرين •

ويصف الكتاب أيضا مشاعر السـلام التام والرضا التى تكتنفه الميت كما يصف نوعا من المزايا التى تنعكس عليها حياته كلها بما فيهـا من أعمال صالحة وشريرة ــ بوضـوح ، أمامه وأمام الكائنـات التى تحاكمه • وفى هذه الحالة لا يحدث أى خطأ أو كذب فى عرض حيـاة الميت •

وباختصار نقول أنه حتى كتاب التبت عن الموتى يتضمن مراحـل أخرى عديدة للموت لم يصل اليها أى شخص من الذين تحدثوا معى • ومن الواضح وجود تشابه صارخ بين ما أورده هذا المخطوط القـديم وتلك الأحداث التى سمعتها من أمريكيين يعيشون فى القرن العشرين •

عمانوئيل سويدنبرج

ولد سويدنبرج (١٦٨٨ ــ ١٧٧٢) فى ستوكهولم • وكان مشهورا فى عصره بمساهماته الجليلة فى مختلف فروع العلوم الطبيعية ، واكتسبت كتاباته الأولى فى التشريح والاجتماع وعلم النفس قدرا من الشهرة • وفى أواخر حياته أهتم بالأمور الدينية وبدأ يتحدث عن التجارب التى أتصل من خلالها بكائنات روحية من وراء العالم المحسوس • وامتلأت مؤلفاته الأخيرة بأوصاف شديدة الوضوح للحياة بعد الموت •

ومرة أخرى نجـد العلاقة الوثيقة بين ما كتبـه عن بعض تجاربه الروحية وما قرره هؤلاء الذين عادوا بعد الموت • فعلى سـبيل المثال يصف سويدنبرج ما يحدث عندما تتوقف وظائف الجسم الخاصة بعملية التنفس والدورة الدموية فيقول :

(ان الانسان لا يموت ولكنه ينفصل عن الجزء البدنى الذى كان مقيدا له فقط خلال وجوده فى العالم .. وعندما يموت الانسان انما يعبر من عالم الى عالم آخر[1] .

ويذكر أنه عاش بنفسه الأحداث الأولى للموت ومر بتجارب الخروج من الجسد :

(دخلت فى حالة عدم الاحساس بحواس الجسد وهى حالة الموت . ولكن الحياة الداخلية تظل مستمرة عقليا ولذلك فاتنى احتفظت فى ذاكرتى بالأشياء التى حدثت وهى نفسها التى تحدث لهؤلاء الذين يقومون من الموت ... خاصة أنها تدل على انجذاب وسحب .. للعقل .. وأعنى به روحى — من الجسد) .

وخلال هذه التجربة تقابل مع كائنات روحية قال أنها « ملائكة » وسألوه اذا كان جاهزا للموت :

(لقد سألنى هؤلاء الملائكة فى البداية عن حالتى الفكرية من حيث مشابهتها لفكر هؤلاء الذين يموتون ، ذلك الذى يدور عادة حول الحياة الأبدية ، وأنهم أرادوا أن يجعلونى مندمجا فى هذا الفكر) .

ولكن الاتصال الذى يدور بين سويدنبرج والأرواح ليس اتصالا أرضيا بالأسلوب الانسانى لأنه على خلاف ذلك انتقال مباشر للأفكار ولذلك لا يشوبه احتمال عدم الفهم :

---

(١) كل النصوص المتعلقة بالعالم سويدنبرج مأخوذه عن كتاب :—
Compendium of the theological and spiritual writings of Emanuel Swedenborg. (Boston : Crosby and Nicholas, 1853), PP. 166-197.

(ومادامت الأرواح تتخاطب مع بعضـــها بلغة كونية ٠٠ فان كل شخص بعد الموت يعرف هذه اللغة الكونية ٠ التى تتناسب مع روحه ٠٠ ان مخاطبة الملاك أو الروح للانسان تصل اليه واضحة مثل حديث رجل لرجل ولكنها غير مســموعة لدى الآخرين الذين يقفون فى مكان قريب ولكنه يسمعها وحده ٠ والسبب هو أن حــديث الملاك او الروح يدور أولا فى فكر الانسان ٠٠٠

والمتوفى حديثا لا يعرف أنه مات لأنه لا يزال فى جسد يماثل جسده المــادى من نواح كثيرة ٠ فالحالة الأولى للانسان بعد الموت تشبه حالته فى العالم لأنها تتم حينذاك بطريقة مشابهة ثم ينتقل من الجســد فيشعر أنه لا يزال فى العالم ٠٠ لذلك بعد أن يستغرب وجوده فى جسد جــديد شبيه بجسده المــادى تراوده بعد ذلك الرغبة فى معرفة ماهية الســماء وماهية جهنم ٠

ويجد أن الحالة الروحية أقل محدودية أما الادراك والفكر والذاكرة فتصير جميعها أكثر كمالا ولا يشكل الزمان والمكان أى عقبة مثلما يحدث فى العالم المــادى ٠ وتصير كافة قدرات الأرواح فى حالة أكثر كمالا مثل كافة أحاسيسهم وأفكارهم ومداركهم ٠ وقد يتقــابل الميت مع أرواح الراحلين الآخرين الذين عرفهم فى حياته ٠٠ ويجدهم هناك لمساعدته خلال عبوره الى العالم الآخر ٠

أما الروح الذى خرج من العالم المــادى حديثا فسرعان ما يتعرف عليه أصدقاؤه وأولئك الذين عرفوه فى العالم المــادى ٠٠ حيث يقدم له أصدقاؤه النصح فيما يتعلق بالحياة الأبدية ٠٠٠ وتعرض أمامه أحداث

حياته فى شكل رؤيا ويتذكر كل تفاصيلها وليس هناك أى احتمال للكذب أو اخفاء أى شيء •

أما الذاكرة الداخلية فهى تلك المنقوشة فيها كافة الأشياء الخاصة •• التى فكر فيها الشخص أو تحدث بها او عملها يوما ما •• بدءا بتصوراته الأولى حتى أرذل سنى عمره فالانسان يتذكر هذه الأمور جميعها عندما يدخل الحياة الأخرى وينجح تماما فى تجميع هذه الخلفيات كلها •• جميع ما تفوه به ، وكل ما عمله •• ينكشف أمام الملائكة فى ضوء ناصع كضوء النهار •• و •• ليس هناك شيء كان خافيا فى حياته الا ويصير مكشوفا بعد الموت •• كما لو كان مرئيا فى شكل دمية تمثل نفس الشخص وذلك عندما يعرض الروح فى ضوء النور السماوى) •

ويصف سويدنبرج أيضا « نور الرب » الذى يتخلل ما يلى ذلك بأنه نور ذو لمعان لا يوصف وقد عاينه بنفسه • انه نور الحقيقة والفهم • ومرة أخرى نرى فى كتابات سويدنبرج كما فى الكتاب المقدس وكتابات أفلاطون وكتاب التبت عن الموتى — براهين وشواهد صارخة توافق ما ورد فى تجارب حافة الموت المعاصرة • وهنا يأتى السؤال طبيعيا : هل هذه الشواهد فقط هى التى تثير الدهشة ؟ قد يقول البعض أن كتاب هذه الأعمال المختلفة قد تأثر كل منهم بالآخر ، وقد ينطبق ذلك على بعض الحالات ولكن ليس فى البعض الآخر • ان أفلاطون يذكر أنه استعار بعض أفكاره من الأساطير الدينية فى الشرق ، وعلى ذلك يكون قد تأثر بنفس المصادر التى أنتجت كتاب التبت عن الموتى • وكذلك يمكن القول ان الفلسفة الاغريقية قد أثرت فى كتاب العهد الجديد حتى يمكن القول بأن مناقشة القديس بولس للجسد الروحى تعود فى بعض أصولها الى أفكار أفلاطون •

ومن الجانب الآخر نرى أنه ليس من السهل فى بعض الحالات أن نسلم بحدوث ذلك التأثير لأن كل كاتب يقدم بعض التفاصيل المثيرة التى تتكرر لدى الآخرين ولكن لا يمكن أن يكون قد نقلها عن مؤلفين قدماء. لقد قرأ سويدنبرج الكتاب المقدس كما أنه على دراية بأعمال أفلاطون ، ولكنه فى كثير من المواضع يركز على حقيقة أن بعض الذين ماتوا حديثا يظلون لبعض الوقت لا يعرفون أنهم ماتوا وهـذه الحقيقة التى تتوارد مرات ومرات فى قصص هؤلاء الذين عاشوا تجربة حافة الموت لم تذكر فى الكتاب المقدس ، وكذلك لم يوردها أفلاطون ، ولكننا نجد لها سندا فى كتاب التبت عن الموتى ، وهو كتاب لا يمكن ان يكون سويدنبرج قد اطلع عليه لأنه لم يترجم الا سنة ١٩٢٧ .

هل من الممكن أن تكون قصص حافة الموت التى جمعتها قد تأثرت بكتابات من النوع الذى ناقشته الآن ؟ لابد أن جميع الذين تحدثت معهم كانت لهم دراية بالكتاب المقدس قبل تجربة حافة الموت ، وربمـا عرف اثنان أو ثلاثة منهم شيئا عن أفكار أفلاطون . ومن ناحية أخرى فلا يمكن أن يكون أى منهم على معرفة بكتابات سويدنبرج أو كتاب التبت عن الموتى ، ولكن العديد من التفاصيل التى لا تظهر فى الكتاب المقـدس أو فى كتابات أفلاطون تظهر باستمرار فى الحكايات التى جمعتها وترتبط هذه تماما بالظواهر والأحداث التى وردت فى المصادر غير المـألوفة .

لابد من تأكيد أن اوجه الشبه والشواهد ما بين كتابات المفكرين القدماء وبين أقوال هؤلاء الأمريكيين المحدثين الذين عاشوا تجربة حافة الموت ــ تظل حقيقة لا يمكن أن تكون قابلة للتفسير . وعلينا أن نقول

لأنفسنا أن أقوال حكماء التبت وأقوال ورؤيا القديس بولس ووجهـات النظر والأساطير التى عرضـها أفلاطون ، والرؤى الروحيـة للكاتب سويدنبرج ، هذه كلها تتفق مع بعضها كما تتفق مع حكايات الأشخاص المعاصرين الذين عاشـوا تجربة حافة الموت التى لم يمر بها غيرهم من الأحيـاء •

(٤)

تسـاؤلات

لابد وأن العديد من الشكوك والاعتراضات قد أحاطت بالقـارىء حتى الآن ، ففى خلال السنوات التى ألقيت خلالها المحاضرات الخاصـة والعامة حول هذا الموضوع وجهت لى عدة أسئلة • وعموما فان الأسئلة كانت توجه لى فى معظم الأحوال حول نفس الأشياء ولذلك استطعت ان أجمع قائمة بهذه الأسئلة التى كانت تتكرر غالبا • وفى هذا الفصل والفصل التالى سأقدم هذه الأسئلة بنفسى •

*** هل يقتصر دورك على مجرد تجميع هذه الحالات ؟**

لا •• لست كذلك •• اننى أريد فقط أن أرسم برنامجا لتدريس الطب النفسى وفلسفة الطب العلاجى ، وأحاول أن أصل الى تحقيق هذا الغرض دون الالتجاء الى الخدع التى يظن البعض أنها طريق سـهل • وقد عرفت من خلال تجاربى الخاصة أن أى شـخص يوجه تساؤلات اجتهادية ومشجعة بين معارفه وأصـدقائه حول أحداث هـذه التجارب سرعان ما تتبدد شكوكه •

*** الست تبالغ فى الخيال ؟ والى أى مدى تجد هذه التجارب عادية ؟**

اننى اول من يقبل ذلك بالقياس الى الطبيعة المحدودة بالضرورة للحالات التى درستها ، وفى نفس الوقت لا أسـتطيع أن أعطى تقييما كميا رقميا لانتشار هذه الظاهرة وعلى أى حال أود أن أقول ما يلى : ان حدوث مثل هذه التجارب عادى بصورة أوسع مما يتخيله أى شخص لم يقم بدراسـتها • وقد ألقيت محاضرات عـامة عديدة حول هـذا

الموضوع لنوعيــات ومجموعات مختلفة من المستمعين ، ولم يحــدث فى أى مرة أن احدا لم يأت بعد المحاضرة لكى يحكى لى تجربة خاصة به أو يقصها على الجميع كما حــدث فى بعض الحالات • وبالطبــع يستطيع الانسان أن يتعجب قائلا : (أحقا !!) أن أحدا مر بمثل هذه التجربة يحضر محاضرة حول الموضوع ؟ فى حالات عديدة كنت أجد أن الشخص الذى مر بهذه التجربة لم يحضر الى المحاضرة من أجــل الموضوع • فعلى سبيل المثال ألقيت مؤخرا محاضرة لفريق مكون من ثلاثين شخصا كان بينهم اثنان عاشا تجرفة حافة الموت ، وقــد حضرا كلاهما لأنهما عضوان بالفريق ولم يعرفا شــيئا مسبقا عن موضــوع المحاضرة •

*** اذا كانت تجارب حافة الموت منتشرة كما تقول ، فلماذا نجد أن هذه الحقيقة غير معروفة بصفة عامة ؟**

هناك أسباب عديدة لذلك اظن أن أولها وفى مقدمتها تأتى حقيقة أن السلوك فى عصرنا الحالى عامة ضد مناقشة امكانية البقاء بعد الموت المــادى ، فنحن نعيش فى عصر حقق فيه العلم والتكنولوجيا قفزات واسعة فى فهم وقهر الطبيعة ولذلك فان الحديث عن الحياة بعد الموت يشبه فكرة ظهور صفات الأسلاف بعد عدة أجيــال ــ لدى الكثيرين الذين ربما يظنون أن الفكرة تعود الى ماضينا الخرافى أكثر من انتمائها الى حاضرنا العلمى • وعلى ذلك فان الأشخاص أصحاب التجارب التى تخرج عن مجال العلم كما نفهمه الآن يثيرون السخرية • ولمــا كان هذا المفهوم معروفا للأشخاص الذين مروا بهذه التجارب فانهم لا يرغبون فى سرد أحداثها على مسامع الملأ • وأنا مقتنع فعلا بأن قدرا كبيرا من المــادة المتعلقة بهذه التجارب يختفى فى عقول الأشخاص الذين مروا بها لأنهم لسبب الخوف من وصفهم بالجنون أو الافراط فى الخيال ، لم

يسردوها على مسامع أكثر من واحد أو اثنين من الأصدقاء المقربين أو الأقارب •

وعلاوة على ذلك فان غموض موضوع حافة الموت بالنسبة لعامة الناس ينبثق عن ظاهرة نفسية منتشرة ومثيرة للأنتباه :

ان الكثير مما نراه ونسمع عنه كل يوم لا يسجل فى عقلنا الواعى واذا انجذب انتباهنا نحو شىء ما بطريقة مثيرة ، فاننا نبدأ فى ملاحظة هذا الشىء بعد ذلك • وكثير من الناس مر بتجربة تعلم معنى كلمة جديدة ، وبعد ذلك كان يرى الكلمة فى كل ما يقرؤه لعدة أيام تالية • وتفسير ذلك فى العادة ليس أن الكلمة أصبحت كثيرة الاستعمال فى اللغة بحيث تظهر فى كل مكان بل أن الكلمة كانت موجودة فى الكتابات التى كان يقرؤها طوال الوقت وهو غير متنبه لمعناها وقد تعود أن يغفلها دون أن يهتم بها شعوريا •

حدث بعد محاضرة ألقيتها مؤخرا أن أتحت المجال للمناقشة ، فوجه لى أحد الأطباء السؤال الأول قائلا :

« اشتغلت بالطب فترة طويلة ، فلو كانت هذه التجارب منتشرة كما تقول فلماذا لم أسمع عنها ؟ » ونظرا لعلمى بأنه من المحتمل ان يكون بين الموجودين حالة أو اثنتان ، سارعت باعادة السؤال على مسامع الجمهور قائلا : « هل سمع أحد من الموجودين عن هذا الموضوع ؟ » وعند هذا الحد رفعت زوجة الطبيب المذكور يدها وسردت قصة صديق حميم لهما •

وهناك مثال آخر : أحد الأطباء مر بهذه النوعية من التجارب لأول مرة خلال قراءة مقال قديم باحدى الجرائد عن محاضرة ألقيتها •

وفى اليوم التالى تبرع أحد المرضى بأن يذكر له قصة عن تجربة مشابهة. وأقر الطبيب أن المريض لم يسمع أو يقرأ عن دراساتى ولكنه ذكر له هذه القصة لأنه تحير وروع بسبب ما حدث له وكان يبحث عن رأى الطب فى هذه التجربة • ولابد أن الطبيب فى الحالتين قد سمع من قبل عن بعض الحالات ولكنها كانت بالنسبة له مراوغات فردية اكثر منها ظاهرة منتشرة فلم يهتم بها الاهتمام الكافى •

وأخيرا فهناك عامل اضافى فى حالة الأطباء ربما ساعدنا على معرفة لماذا يبدو معظمهم غير ملم بتجربة حافة الموت بالرغم من أن الانسان يتوقع أن يكون هؤلاء الأطباء دون غيرهم من الناس قد عاشوا بعضا من هذه التجارب • ان الطبيب خلال فترة الامتياز يتدرب على أن يتنبه لكل ما يقوله المريض حول ما يشعر به • كذلك يتعلم الطبيب أن يتنبه تماما للدلائل الايجابية التى تكشف عن تطورات المرض بينما ينظر الى التقارير السلبية للمريض بعدم اهتمام : وهذا الموقف هو الذى يؤدى الى اخفاء تجارب حافة الموت لأن القليلين من الأطباء هم الذين يسألون عن احاسيس وانطباعات المريض الذى يعيدونه الى الحياة بعد الموت الاكلينيكى • وبسبب هذا الموقف أقول أن الأطباء المفروض فيهم نظريا أن يكتشفوا حالات تجارب حافة الموت ــ هم فى الحقيقة الذين لا يسمعون الكثير عن هذه التجارب بالقياس الى غيرهم من الناس •

*** هل لاحظت أية اختلافات بين الذكور والاناث فيما يتعلق بهذه الظاهرة ؟**

لا يبدو هناك أى اختلاف مطلقا فى مضمون أو نوعية التجارب التى ذكرها الذكور عن تلك التى ذكرتها الاناث لأن كلا من الجنسين أعطى وصفا لعناصر تجربة حافة الموت التى سبق مناقشتها ولم يورد

عنصرا واحـــدا له وزن اكثر أو أقل فى تجارب الذكور عنه فى تجارب الانــاث •

ورغم ذلك فان هناك بعض الاختلافات بين حكايات الذكور والاناث فالذكور الذين خاضوا تجربة حافة الموت أكثر كتمانا للحديث عن الظاهرة بالقياس الى النساء • كما أن الذكور سردوا التجربة باختصار كما كانوا يغفلون الرد على خطاباتى أو يعيدوا لى بطاقات الدعوة التى أوجهها لهم طالبا منهم مقابلتى للاستماع الى مزيد من التفاصـيل وذلك على خلاف الاناث •

كذلك فان هنـاك عددا أكبر من الذكور الذين صـدرت عنهم ملحوظات مثل « لقد حاولت أن أنساها أو أخفيها » • على خـلاف الاناث ويعود هذا الى الخوف من السخرية أو الخوف من العجز عن وصف المشاعر التى فاضت اثناء التجربة وذلك على خلاف الاناث وبالرغم من أننى لا أجد تفسيرا لذلك الا أننى لست الوحيد الذى لاحظ هـذه الاختلافات لأن الدكتور راسيل مورز وهو باحث طبيعى مشهور قال لى أنه لاحظ نفس الشىء مع أفراد آخرين ذلك أن حـوالى ثلث الرجال والنسـاء الذين يعيشـون تجربة طبيـة هم فقط الذين يهتمون بسرد الموضـوع •

وهناك حقيقة أخرى تتلخص فى أن عددا أكبر من هـذه الحالات ــ على خلاف المتوقع ــ قد حدث أثناء الحمل • ومرة أخرى لا أجد تفسيرا لذلك ، ربما لأن الحمل نفسه مغامرة تتعلق بتوقع متاعب قـد تستدعى التدخل الطبى • هذا بالاضافة الى حقيقة ان الاناث فقط هن اللائى يحملن وأنهن أقل كتمانا لهذه التجارب بالقياس الى الذكور • وربما ساعدنا هذا التفسير على فهم السبب فى كثرة عدد التجارب التى تحدث أثناء الحمـل •

*** كيف تعرف أن هؤلاء الناس لا يكذبون عليك ؟**

من السهل للأفراد الذين لم يسمعوا أو يعايشوا تجارب حافة الموت أن يفترضوا أن هذه الحكايات كاذبة . أما أنا فأجـد نفسى فى موقف مختلف حيث شاهدت البالغين العقلاء من الرجال والنساء وهم ينفجرون فى البكاء أثناء سرد أحداث مضى عليها ثلاثون عاما ولمست فى أحاديثهم رنة الاخلاص والدفء والمشاعر التى لا يمكن وصفها كتابة وهى علامات لمستها ، ولسوء الحظ فان غيرى لا يستطيع أن يشترك معى . اما القول بأن هذه الحكايات مزيفة فهو أمر لا سند له كلية .

وبالاضافة الى رأيى الذى له وزنه الخاص فهناك بعض الاعتبارات القوية التى تقف بشدة ضـد افتراض التلفيق فى هـذه الحكايات ، وأوضحها هو صعوبة شرح التشابه بين جميع الحكايات فكيف يتصادف أن يتفق جميع الرواة على سرد نفس الكذبة التى استمروا يسردونها على مدى ثمانى سنوات ؟ وكذلك يمكن القول بأن التواطؤ فى هذا الصدد احتمال نظرى بحت ، فهل يعقل أن سيدة من شرق كارولينا الشمالية وطالب طب من نيوجرسى ومحارب قديم من جورجيا وآخرين كثيرين — قد اتفقوا معا ولعدة سنوات على أن يتآمروا ضدى ويخدعونى !! على كل حال هذا الاحتمال غير وارد .

*** اذا لم يكونوا يكذبون بصورة مكشوفة فربما كانوا يزيفون الأحداث بذكاء وحذق . أليس من الجائز أن يكونوا قد أسهبوا وأفاضوا فى حبكة قصصهم على مدى هذه السنوات ؟**

هذا السؤال يشير الى الظاهرة النفسية المعروفة التى يبدأ خلالها الفرد فى سرد حكايات بسيطة لتجربة أو حدث ومع مرور الوقت يطورها لتصير قصة مستفيضة وفى كل مرة يسردها يضيف شيئا يصدقه هو نفسه

حتى تصير القصة فى النهاية محبوكة ومزخرفة جدا فيصير الشبه بينهـا وبين الأصل ضئيلا جدا •

وأنا لا أعتقد أن هـذا الأسلوب قد اتبعه أحـد من الذين مروا بالحالات التى درستها وعلى أى حال فان قصص الأشخاص الذين قابلتهم بعد تجربتهم مباشرة ــ فى بعض الحالات ــ عندما كانوا لايزالون يقضون فترة النقاهة بالمستشفى ــ لا تختلف عن تلك التى مضى عليها عشرات السنين • وأكثر من ذلك أنه فى حالات قليلة ــ وجدت أن الأشـخاص الذين قابلتهم قد كتبوا أوصـافا لتجاربهم بعد حدوثها بقليـل وكانوا يحكونها لى من مذكراتهم أثناء اللقاء • ومرة أخرى فان هذه الأوصاف هى نفس اوصاف التجارب التى ذكرها البعض من الذاكرة بعـد مرور عدة سنوات • وأيضا هنـاك حقيقة أنتى فى أغلب الحـالات كنت أول أو ثانى شخص يقصون عليه حكاياتهم بعد الكثـير من التردد حتى فى الحالات التى حدثت فيها التجربة منذ عدة سنوات ، وبالرغم من عدم وجود فرصة لزخرفة القول فى مثل هذه الحالات • ومرة أخرى فانهـا لا تختلف فى مجموعها عن تلك التى أعيد سردها عدة مرات خـلال عدة سنوات • وفى النهاية تقول أنه من الجائز فى حـالات عديدة أن يكون العكس قد حدث وأعنى به عدم التنميق •

أما ما يطلق عليه الطب النفسى اسم « الكبت » او الكتمان فهـو حالة عقلية يبذل خلالها جهـد عقلى للتحكم فى الذكريات والأحاسيس والشكوك غير المرغوبة لاخفائها عن الادراك • وفى حالات عديدة أثناء مسار اللقاءات ــ أبدى بعض الأشخاص ملاحظات تبين أن الكبت قـد يحدث بالفعل ، منها على سبيل المثال حالة احدى السيدات التى أبلغتنى تجربة منمقة جدا حدثت خلال موتها فقالت : « أشعر بأنه لايزال هناك

الكثير من التفاصيل ولكننى لا أتذكرها كلها • لقد حاولت أن أكتمها لأننى أعرف أن الناس لن يصدقونى بأية حال » •

وهنـاك رجل تعرض لأزمة قلبية خلال جراحة أجريت له بسبب اصابات شديدة وقعت له فى فيتنام ــ سرد لى الصعوبات التى جابهها فى التعـامل مع تجربة الخروج من الجسد التى مرت به فقال : « اننى أشعر بالصدمة لدى محاولة ذكر القصة حتى الآن اننى أشعر بأن هناك الكثير الذى لا أتذكره لأننى حاولت أن أنساها » •

وباختصار أقول أن التنميق أو الزخرفة ليس له مجال مؤثر فى تطوير هذه الحكايات •

*** هل مارس جميع هؤلاء الناس سر الاعتراف قبل دخولهم هذه التجارب ؟ واذا كان الرد بالايجاب ، أفلا تكون هذه التجارب قد تشكلت حسب معتقداتهم وخلفياتهم الدينية ؟**

الظاهر أنها كذلك الى حد ما كما ذكرنا سابقا • وبالرغم من أنه لا خلاف حول وصف الكائن النورانى الا آن الشخصية التى يدل عليها تختلف حسب الخلفية الدينية للشخص • ولم أسمع خلال جميع أبحاثى عن أى حديث يتعلق بالسماء أو جهنم وهما الصورتان اللتان اعتـدنا الحديث عنهما فى عالمنا هذا • حقا ! • لقد أبرز آشخاص عديدون كيف أن تجاربهم تختلف عما توقعوه خلال تداريبهم الروحية • تقول احدى السيدات التى توفيت :

« كنت أسمع دائما أنه عندما يموت الانسان يرى السماء وجهنم ولكننى لم أر أيا منهما » •

وتذكر سـيدة أخرى جازت تجربة الخروج من الجسـد بعـد

جروح شديدة أن « الشيء الغريب هو اننى تعلمت دائما خلال ممارساتى الدينية أنه فى اللحظة التى تموت فيها تذهب مباشرة الى تلك البوابات اللؤلؤية الجميلة ، ولكننى خلال هذه التجربة كنت أحوم حول جسدى المادى مما جعلنى أشعر بالارتباك » • وفى بعض الأحيان وصلتنى تقارير قليلة من أشخاص ليست لهم معتقدات دينية أو تداريب روحيه قبل دخولهم تجربة حافة الموت ، ورغم ذلك لا تبدو قصصهم مختلفة المضمون عن قصص هؤلاء الذين لهم معتقدات راسخة • وفى حالات قليلة وجدت أناسا كانوا قد انتموا الى مذاهب عقائدية ثم نبذوها فى أوائل حياتهم ، هؤلاء عادوا من تجربة حافة الموت وقد اكتسبوا مشاعر دينية ذات أعماق جديدة ورسوخ عظيم • ويقول آخرون أنهم بالرغم من قراءتهم للمصادر الدينية مثل الكتاب المقدس فانهم لم يفهموا أشياء معينة حتى دخلوا تجربة حافة الموت •

*** ما هى الأضواء التى سلطتها التجارب التى درستها على امكانية حدوث الاستجساد اذا كانت هناك أضواء بالفعل ؟**

لم تدلنى أى من هذه التجارب على حدوث الاستجساد ــ وعلى أى حال من الضرورى أن نعلم انه لا يوجد بين هذه التجارب ما يدل على الاستجساد ــ واذا كان هناك استجساد فلابد أنه قد حدث فى مجال آخر فى الفترة ما بين وقت الانفصال عن الجسد القديم والدخول فى الجسد الجديد • وعلى ذلك فان أسلوب مقابلة الناس الذين عادوا بعد الموت ليس هو الأسلوب الصحيح لدراسة الاستجساد •

هناك أساليب أخرى اتبعت فى تحرى موضوع الاستجساد منها على سبيل المثال أسلوب التطور العكسى وفيه ينوم المفحوص مغناطيسيا ويطلب منه العودة ذهنيا الى المراحل المبكرة جدا فى حياته • وعندما يصل الى الزمن الذى يستطيع فيه أن يتذكر التجارب الأكثر قدما فى

حياته العالمية ، يعيدونه الى الوقت الحاضر ، وبعد ذلك يطلبون اليه أن يذهب الى أبعد من ذلك ! وعند هذه النقطة يبدأ الكثيرون فى سرد حكايات منمقة عن حياة سابقة فى أزمنة ماضية وأماكن بعيدة • ومثل هذه القصص فى بعض الحالات تخضع لمقاييس معينة لقياس الدقة ويحدث هذا عندما يكون موضوع الأحداث أو الأشخاص او الأماكن التى يصفها غير معروف أو غير دقيق ـ وأشهر هذه الحالات هى حالة برايدى مورفى ولكن هناك حالات أخرى بعضها أشد تأثيرا وأجود صياغة ولكنه غير معروف على نطاق واسع • أما القراء الذين يريدون متابعة موضوع هذا السؤال فعليهم أن يعودوا الى كتاب المؤلف Ian Stevenson, M.D. وعنوانه :

Twenty cases suggestive of reincarnation

ويجدر بنا الاشارة أيضا الى كتاب التبت عن الموتى الذى يحكى بدقة مراحل حافة الموت ، وهو يقول أن الاستجساد يحدث عند مرحلة تالية للمراحل التى مرت بها الحالات التى قمت بدراستها •

*** هل قابلت أحدا مر بتجربة حافة الموت خلال حادثة انتحار ؟ واذا كان الرد بالايجاب ـ فهل كانت التجربة مختلفة ؟**

أعرف حالات قليلة كانت فيها محاولة الانتحار سببا فى « الموت الظاهرى » وهذه التجارب كلها غير سارة • تقول احدى السيدات : « اذا هربت من عذاب الروح هنا فستجد عذاب الروح هناك » • وباختصار ، قالوا أن المشاكل التى حاولوا الانتحار للتخلص منها ظلت موجودة بعد موتهم بالاضافة الى تعقيدات جديدة • ولم يستطيعوا ان يفعلوا شيئا لحل مشاكلهم أثناء وجودهم خارج الجسد ، بل اضطروا مرغمين الى رؤية النتائج الضارة التى نتجت عن أفعالهم •

أطلق رجل الرصاص على نفسه لأنه كان حزينا لموت زوجته ، ومات متأثرا بالاصابة ثم أعيد الى الحياة . يقول :

(لم أذهب الى حيث ذهبت زوجتى . لقد ذهبت الى موضع رهيب .. وسرعان ما عرفت الغلطة التى ارتكبتها .. وودت لو لم أرتكبها) .

وآخرون ممن مروا بهذه الحالة المؤلمة قالوا أنهم سيظلون هناك فترة طويلة فى موضع العذاب هذا ، وذلك جزاء لهم لأنهم « كسروا القوانين» بمحاولة اطلاق أنفسهم قبل الموعد المحدد هربا من مجابهةموقف يراد به تحقيق غرض معين فى الحياة . ومثل هذه الملاحظات تتطابق مع ما ذكره لى أشخاص عديدون كانوا قد ماتوا لأسباب أخرى ولكنهم قالوا أنهم أثناء وجودهم فى هذه الحالة عرفوا ان الانتحار فعل سيء يقابله عقاب شديد . وهذا رجل عاش تجربة حافة الموت بعد حادث ـ يقول :

(عندما كنت هناك خامرنى شعور بوجود شيئين محظور أن أفعلهما ، أن أقتل نفسى ، أو أقتل شخصا آخر .. اذا أقدمت على الانتحار ، ألقى بعطية الله فى وجهه .. اذا قتلت غيرى فانى أتدخل فى ارادة الله الذى منح هذا الغير عطية الحياة) .

وفى بعض الأحيان أجد ان هذه الحالات التى عرضت لى من خلال حكايات منفصلة تماثل تلك التى تضمنتها أقدم المناقشات اللاهوتية والأخلاقية ضد الانتحار ، ورد بعضها بأشكال مختلفة فى كتابات مفكرين مختلفين مثل القديس توما الأكوينى والفيلسوفين « لوك » و « كانت » . فالانتحار عند « كانت » مثلا هو فعل ضد ارادة الله ويعتبر من جهة أخرى ثورة ضد الخالق .

أما القديس توما الأكوينى فيقول أن الحياة عطية من الله وقبضها يكون حسب ارادة الهية وليست انسانية •

وعلى كل حال فاننى خلال مناقشتى لهذا الموضوع لا أدين الانتحار من وجهة النظر الأخلاقية وانما أقرر ما ذكره لى الآخرون الذين مروا بهذه التجربة • وأنا الآن أقوم باعداد كتاب منفصل عن حالات حافة الموت سأعالج فيه هذا الموضوع (يقصد موضوع الانتحار) بتفصيل مسهب•

※ هل مرت بك حالات تدخل فى نطاق ثقافات أخرى ؟

لا •• هذا لم يحدث حقيقة • ومن بين أسباب ذلك سبب يجعلنى أقول أن دراستى هذه غير علمية وهو ان مجموعة الأفراد الذين استمعت اليهم لا يشكلون عينة عشوائية من الكائنات البشرية ، ولا شك أننى مشتاق لسماع تجربة حافة الموت لدى الاسكيمو أو الهنود الحمر أو قبائل النافاهوس أو الواتوسى وغيرهم • وعلى أى حال فاننى لم أستطع ذلك بسبب الحواجز الجغرافية وغيرها •

※ هل هناك نماذج تاريخية لظاهرة حافة الموت ؟

بقدر علمى ، لا يوجد • وعلى أى حال فاننى منذ انشغالى بالحالات المعاصرة لم أجد الوقت الكافى للتنقيب عن اجابة لمثل هذا السؤال • ولذلك لن أندهش اذا وجدت أن مثل هذه التقارير قد وردت فى الماضى • ومن جهة اخرى فاننى أشك فى كثرة حالات حافة الموت خلال عشرات السنين القليلة الماضية عنها فى الفترات المبكرة والسبب فى ذلك هو ببساطة أن التكنولوجيا المتقدمة لاعادة الحياة لم تكن متوفرة فى تلك الفترات ، وأغلب الأشخاص الذين أعيدوا الى الحياة فى عصرنا الحالى لم يكن من الممكن أن يحدث ذلك لأمثالهم فى السنين

الماضية • ان وسائل الحقن بالأدرنالين واحداث صدمات للقلب ، بالاضافة الى القلب الصناعى والرئة الصناعية • ليست الا نماذج لتلك التكنولوجيا المتقدمة فى الطب •

*** هل اطلعت على السجل الطبى للحالات التى درستها ؟**

لقد فعلت ذلك بقدر استطاعتى ، ففى الحالات التى استدعيت تحقيقها قامت هذه السجلات بدور كبير فى تأييد الأشخاص المذكورين وفى بعض الحالات لم تكن السجلات متاحة نظرا لمرور السنين أو موت الأشخاص الذين أجروا عملية الاعادة للحياة • ولكن التقارير التى لم أحصل على السجلات الخاصة بأصحابها ـ لم تختلف عن تلك التى حصلت على سجلاتها •

وكنت فى حالات كثيرة عندما لا تتاح السجلات . أطلب شهادة الآخرين من الأصدقاء وأطباء وأقارب الشخص موضوع الدراسة للتأكد من حدوث حالة حافة الموت •

*** لقد سمعت أنه لا يمكن اعادة الحياة بعد مرور خمس دقائق على الوفاة ـ ولكنك تقول أن بعض الحالات التى عرضت لك قد أستمرت فى حالة الموت حوالى عشرين دقيقة ـ فكيف حدث ذلك ؟**

ان غالبية الأرقام والكميات التى يسمعها الانسان خلال ممارسة مهنة الطب انما هى تقديرية وتدل على المتوسط وبالتالى لا يمكن اعتبارها مضبوطة ، فالرقم خمس دقائق الذى تسمعه ليس الا المتوسط • وهناك قاعدة طبية تقول بأنه لا يجوز اجراء محاولة اعادة الحياة بعد مرور خمس دقائق لأن عدم وصول الأكسجين يؤدى الى تحلل المخ بعد مرور خمس دقائق • ولكن مادام هذا الرقم تقديريا فاننى أتوقع استثناء بعض الحالات من هذه القاعدة • وقد وجدت بعض الحالات التى حدثت فيها عودة الحياة بعد عشرين دقيقة دون وجود أى دليل على تحلل المخ •

*** هل مات أى من هؤلاء الأشخاص موتا حقيقيا ؟**

ان أحد الأسباب الأساسية التى تجعل هذا السؤال صعبا هو أنه سؤال لغوى يدور حول تعريف كلمة « ميت » •

ونجد أنه بالنظر الى الحوار الحار الذى دار مؤخرا حول موضوع نقل الأعضاء فان معنى لفظ « ميت » لا خلاف عليه حتى بين المتخصصين فى الطب • ولكن مدلول الموت يختلف ليس فقط بين العلمانيين والأطباء ولكن كذلك بين الأطباء أنفسهم من مستشفى الى آخر ، ولذلك فان جواب هذا السؤال يعتمد على ما نقصده بكلمة « ميت » ومن المفيد هنا أن ننظر فى ثلاثة تعريفات ثم نناقشها •

١ ــ الموت حالة تغيب فيها علامات الحياة التى يتم فحصها اكلينيكيا:

يقول البعض أن الشخص « ميت » اذا توقف قلبه عن النبض ، وتوقف عن التنفس لفترة طويلة من الزمن ، وهبط ضغط الدم عنده حتى صار غير مقروء ، واتسعت حدقتا عينيه ، وانخفضت حرارة جسمه •• الخ • هذا هو التعريف الاكلينيكى ، وقد استخدم هذا المفهوم الاكلينيكى للموت فى كثير من الحالات التى درستها • وتتفق فحوص الأطباء والسجلات الطبية على أن الموت يحدث فعلا حسب هذا المفهوم •

٢ ــ الموت حالة يغيب فيها نشاط الموجات الصادرة عن المخ :

أدى تطور التكنولوجيا الى تقدم أساليب شديدة الحساسية لفحص عمليات وظائف الأعضاء حتى تلك التى لا يمكن ملاحظتها بالنظر وهناك جهاز يسمى : Electro Encephalo Graph (EEG) أى رسام المخ الكهربائى ــ وهو عبارة عن آلة تبين وتسجل احتمالات النبضات الكهربائية للمخ • وفى الفترة الأخيرة انتشر تيار التعرف على الموت

الفعلى بالنظر الى غيـاب نشاط النبض الكهربائى للمح كما توضحه الرسوم البيانية التى نحصـل عليها من رسـام المخ الكهربائى • ومن الواضح فى جميع حالات اعادة الحياة التى عالجتها وجود خطر اكلينيكى شديد ، ولم يتوفر الوقت لتشغيل جهاز رسم المخ الكهربائى لأن الأطباء وجهوا اهتمامهم نحو بذل ما فى استطاعتهم لاستعادة حيـاة المريض • ولذلك فان البعض قد يناقضنى فى القول بأن هـؤلاء الأشخاص ماتوا فعـلا •

لنفترض لحظة أننا حصلنا على قراءات مرتفعة من جهاز رسم المخ الكهربائى للأشخاص الذين اعتقدنا موتهم وأعيدوا الى الحياة ــ فهل يضيف هذا شيئا ؟ لا أظن ذلك لثلاثة أسباب : الأول هو ان محاولات اعادة الحياة تتضمن خطرا دائما لأنها حالات طارئة تستغرق كحد أقصى ثلاثين دقيقـة أو أكثر ، وفى نفس الوقت فان تشـغيل جهاز رسم المخ الكهربائى عمل فنى معقد جدا ويستدعى الأمر مرور بعض الوقت قبـل أن يستطيع الخبير الفنى تشغيله حتى يبدأ فى تسجيل القراءات الصحيحة فى غالبيـة الأحوال • ومع اعلان حالة الطوارىء يزداد احتمال الخطـأ بسبب التعقيدات التى تصحب استخدام هذا الجهاز • وحتى اذا أمكن الحصول على رسم بيانى من هذا الجهاز للشخص الذى يمر بتجربة حافة الموت فان الناقد سـيظل مصرا على القول باحتمال عـدم دقة الرسم البيانى • والثانى هو أنه حتى مع تشـغيل جهاز رسم المخ الكهربائى العجيب فانه لن يتاح لنا معرفة ما اذا كانت عودة الحياة ممكنة فى حالة معينة • وقد أمكن الحصول على رسوم سلبية لأشخاص أعيدت اليهم الحياة فيما بعد رغم استخدام الجهاز • ويدخل فى نطاق هـذه الحالة الجرعات المضـاعفة من العقاقير التى تسبب احباطا فى الجهاز العصبى المركزى وكذلك انخفاض حرارة الجسم • والثالث أنه حتى اذا اشتغل الجهاز بكفاءة فلا تزال هناك مشكلة ، فالبعض يقول انه لا يوجد دليل

على أن تجربة حافة الموت قد حدثت أثناء تشغيل الجهاز ، فربما حدثت قبل أو بعد ذلك • وعلى هذا الأساس أقول أن جهاز رسم المخ الكهربائى غير فعال خلال هذه المرحلة من الفحص •

٣ ـ الموت حالة فقدان كامل للعمليات الحيوية فى الجسم :ـ

قد يقبل البعض تعريفا أكثر تحديدا باعتبار أن الانسان لا يستطيع القول بأن الشخص الذى أعيد الى الحياة قد مات بصرف النظر عن المدة التى لم نستطع خلالها فحص علامات الحياة لديه اكلينيكيا ، وبصرف النظر عن المدة التى أظهر فيها جهاز الرسم الكهربائى للمخ ـ الرسم البيانى • وبعبارة أخرى نقول أن الموت هو تلك الحالة البدنية التى تمثل غيبوبة كاملة لا يمكن الافاقة منها • ومن الواضح حسب هذا التعريف ان جميع الحالات التى عرضت لى غير واردة تحته لأن الميت قد أعيد الى الحياة فى جميع هذه الحالات •

وهكذا نرى ان اجابة السؤال تعتمد على تعريف كلمة « ميت » وعلينا أن نتذكر أنه بالرغم من أن القضية لفظية لغوية فهى ذات أهمية كبيرة لأن التعريفات الثلاثة التى أوردناها تتضمن عناصر عظيمة الأهمية• وأنا أتفق مع التعريف الثالث • وحتى فى تلك الحالات التى توقف القلب خلالها عن النبض لفترات طويلة فان أنسجة الجسم خاصة المخ كانت تتلقى الأكسجين والغذاء معظم الوقت •

وليس ضروريا أن نفترض الخروج على أى قانون من قوانين علم وظائف الأعضاء فى أى من تلك الحالات • ولابد أن درجة معينة من النشاط البيولوجى كانت مستمرة فى خلايا الجسم حتى يمكن اعادة الحياة بالرغم من عدم القدرة على فحص العلامات الظاهرة لهذه العمليات اكلينيكيا بالوسائل المتاحة حاليا مما يجعل من الصعب تحديد نقطة

اللاعودة التى يختلف تقديرها من شـخص الى آخر لأنها ليست نقطة ثابتة ولكنها دائمة التحرك باستمرار مما يعرضها للزحزحة • والحقيقة أن معظم الناس الذين تحدثت اليهم منذ عشرات السنين لم يمكن اعادتهم للحياة بعد موتهم • أما فى المستقبل فقد تتاح لنا الوسائل التى تجعل فى استطاعتنا اعادة الحياة لأمثال هؤلاء الذين لا نستطيع انقاذهم اليوم •

دعنا الآن نفترض أن الموت هو انفصـال العقل عن الجسم وأن العقل يدخل فى مجالات أخرى من الوجود عند هذه النقطة • ويلى ذلك وجود بعض الآلية التى نقلت بها الروح أو العقل من الموت • وليست هناك قاعدة نستند اليها سوى أن هذه الآلية تعمل بالتوافق مع معطيات العصر الحالى ، وهى ما نطلق عليـه تعسفيا اسم : نقطة اللاعـودة • ولا نستطيع أن نفترض أيضا أنها تعمل بكفاءة فى جميع الأحوال وذلك بنفس الطريقة التى نفترض بها أن أعضاء أى جسم تعمل دائما بكفاءة • وربما تعمل هذه الآلية أحيانا قبل حدوث أى أزمة بدنية فتقدم للبعض ومضة خاطفة عن الحقائق الأخرى •

ويساعدنا ذلك على سرد حكايات هؤلاء الأشخاص الذين استعادوا ماضى حياتهم خلال تجربة خروجهم من الجسد عندما أحسوا بالفعـل انهم على وشك أن يموتوا حتى قبل حدوث أى ضرر بدنى •

وكل ما نريد أن نقوله هو : مهما كانت نقطة اللاعودة فان الموت هو الموت كما قيل فى المـاضى ويقال فى الحاضر والمستقبل • وان هؤلاء الذين تحدثت معهم كانوا أقرب اليه أكثر من الغالبية العظمى من اخوتهم بنى الانسان • ولهذا السبب وحده احببت أن أنصت الى أقوالهم •

وفى التحليـل النهائى أقـول أننى لم أتوقع القـدرة على اثارة الاعتراضات حول التعريف الدقيق للموت ــ من خلال هذه المناقشة •

ومهما كان الفكر الذى يدور فى عقل من يعترض على تجارب حافة الموت فان هذا لا يجعلها غير مألوفة . وطالمـا كان هناك احتمال استمرار بعض النشاط البيولوجى الباقى فى الجسم فان عودة الحيـاة ممكنة وذلك يسمح بحدوث تجربة حافة الموت .

وأذكر الآن اننى صرحت مسبقا بأنه لابد من وجود بعض النشاط البيـولوجى الباقى فى الجسم فى جميع الحـالات ، ولذلك فان القول بحدوث الموت الحقيقى ينحصر فى المشكلة الأساسية التى تدور حول قدرة هذا النشاط على اعادة الحياة . وبعبارة أخرى : ألا يمكن تقديم تفسيرات أخرى (بخلاف العودة من الموت البدنى) ؟ ان هـذا يقودنا بدوره الى موضوع الفصل التالى .

(٥)
تفسيرات

هناك بالطبع تفسيرات بديلة لظاهرة حافة الموت ، فمن وجهة النظر الفلسفية يمكن بناء فروض غير انتهائية لتفسير أى تجربة أو ملاحظة أو حقيقة • ومعنى ذلك أن الانسان يستطيع الاستمرار الى الأبد فى بناء تفسيرات نظرية محتملة لأى فكرة يريد أن يفسرها • وهكذا أيضا فى تجارب حافة الموت نجد أن كافة أنواع التفسيرات المحتملة تعرض نفسها •

ومن بين انواع التفسيرات العديدة التى تحضرنا نظريا يوجد القليل الذى دار الحديث حوله كثيرا من جمهور المستمعين الذين تحدثت اليهم وعلى ذلك سأعالج الآن هذه التفسيرات العمومية وغيرها مما لم يعرض علينا • وقد قسمتها تقديريا الى ثلاث نوعيات :

ما فوق الطبيعة ، والطبيعية (العلمية) ، والنفسية (السيكولوجية) •

تفسيرات مافوق الطبيعة

نادرا ما حاول بعض المستمعين افتراض تفسيرات تتعلق بتدخل الشيطان فى تجارب حافة الموت ، ظنا بأن هذه التجارب قد وجهتها قوى شريرة • وأرد على هذه التفسيرات قائلا أنه يبدو لى أن أحسن وسيلة للتفرقة بين التجارب التى يوجهها الله والتجارب التى يوجهها الشيطان يكمن فيما يقوله أو يفعله الشخص الذى عاد من التجربة • ان الله يحاول أن يجعل هؤلاء الذين يظهر لهم يتمسكون بالمحبة والغفران، أما الشيطان فانه يطالب خدامه باتباع سبل الكراهية والتدمير • ومن الواضح أن

الحالات التى درستها قد عاد أصحابها بالتزامات جديدة لاتباع الطريق الأول واغفال الطريق الثانى • وعلى ضوء كافة المؤامرات التى تتصل بفرض تدخل الشيطان ليوهم ضحيته المنحوسة ويغريها (ولأى غرض ؟)• فلا شك أنه قد فشل فى ذلك بصورة مأساوية – الى أبعد ما أستطيع ان أقوله – ولم يستطع أن يقنع أحدا من أصحاب الحالات التى درستها بأن يصير مبعوثا له لتحقيق برنامجه •

التفسيرات الطبيعية (العلمية)

١ – التفسير المرتبط بالعقاقير :

قال البعض أن تجارب حافة الموت تحدث نتيجة لتعاطى بعض العقاقير العلاجية أثناء الأزمة • والذى يتوهم صحة هذا الرأى يستند الى عدة حقائق منها على سبيل المثال أنه من المتفق عليه بين جمهرة العلماء أن بعض العقاقير تسبب أوهاما وحالات من الهلوسة • وأكثر من ذلك أننا الآن نمر بعصر يتزايد فيه الاهتمام بمشكلة استخدام العقاقير وتركز انتباه الجماهير على الاستعمال المحظور لعقاقير مثل عقار LSD ، والماريجوانا وغيرها من المواد التى تسبب حالات من الهلوسة وأخيرا فان هناك حقيقة مهمة وهى أن الكثير من العقاقير المباحة لها تأثيرات مختلفة على العقل من المحتمل أن تماثل احداث تجربة حافة الموت منها على سبيل المثال مادة الكيتامين (Cyclohexanone) وهى مادة تحقن فى الوريد ولها مفعول مخدر مع تأثيرات جانبية تقود الى حالة تشبه الخروج من الجسد فى بعض النواحى • وهذه المادة يطلق عليها اسم : المخدر الفاصل – لأن المريض أثناء وقوعه تحت تأثيرها قد يصبح عديم الاستجابة ليس فقط للاحساس بالألم بل أيضا للبيئة المحيطة به ككل فيشعر أنه منفصل عن البيئة المحيطة به بما فيها أجزاء جسمه – ساقاه وذراعاه وغيرهم ، وقد يظل فترة طويلة بعد الشفاء يعانى من متاعب

نفسية تتضمن الهلوسة والأحلام الشديدة الوضوح • (تذكر أن بعض الأشخاص استخدموا نفس هذه الكلمة (الفاصل) لوصف مشـاعرهم أثناء وجودهم فى حالة الخروج من الجسد) •

وأكثر من ذلك أننى جمعت عدة حكايات من أناس حدثت لهم رؤى عن الموت من النوع المعروف بالهلوسة وذلك أثناء وقوعهم تحت تأثير عقاقير مخدرة • دعنى أقدم مثلا على ذلك :

(حدث ذلك عندما كنت فى العاشرة من عمرى ، وكنت حينذاك فى عيادة طبيب الأسـنان لحشو أحد الأضراس وأعطانى مادة أكسـيد الأزوتوز (الغاز المضحك) فأصابنى نوع من الثورة العصبية حيـال تعاطيها لأننى كنت أخشى ألا أستيقظ ثانية • وبينما بدأ المخدر يحدث مفعوله ، شعرت بنفسى أدور فى شكل حلزونى • لم تكن الحالة شبيهة بالدوران حول النفس بل أحسست كأن كرسى الكشف يدور حلزونيا مع الاستمرار فى الارتفاع الى أعلى •

كان كل شىء لامع البياض ، وعندما وصلت الى قمة الحلزون نزلت الملائكة لتلقانى وتحملنى الى السماء وأنا استعمل لفظ الجمع (الملائكة) لأن الصورة كانت غير واضحة ولكننى متأكدة أنه كان هناك أكثر من ملاك ولا أستطيع احصاءهم •

وعند نقطة معينة كان طبيب الأسنان والممرضة يتحدثان الى بعضهما البعض عن شـخص آخر وسـمعت حديثهما • ولكن فى الوقت الذى انتهت فيه احدى عبارات الحديث لم أستطع أن أتذكر بداية تلك العبارة• ولكننى عرفت أنهما كانا يتحدثان واثنـاء حديثهما كنت أحس برجع صـدى الكلمات حولى وكان هذا الصـدى يبتعد رويدا رويدا مثلما

يحدث فى المناطق الجبلية • وأظن انتى كنت أسمعهما من أعلى لأننى شعرت كما لو أنتى كنت أرتفع نحو السماء •

هذا هو كل ما أتذكره فيما عدا أننى لم أشعر بالخوف أو الهياج لدى ورود فكرة الموت • وكنت فى ذلك الحين من حياتى أخشى الذهاب الى جهنم • ولكن عندما حدثت هذه التجربة لم ينشغل ذهنى الا بفكرة ذهابى الى السماء • وقد اندهشت فيما بعد عندما عرفت أن فكرة الموت لم تروعنى • وأخيرا أشرق فى ذهنى انه لا يوجد شىء يقلقنى وأنا واقعة تحت تأثير المخدر • وكان احساسى بالسعادة عارما لأننى كنت متأكدة أن هذا الاحساس بالانطلاق قد جاء نتيجة لاستخدام الغاز المخدر وكنت ألومه على ذلك • كانت الصورة باهتة ولم أتشبث بها فيما بعد) •

ونلاحظ أن هناك أوجه شبه عديدة بين هـذه التجربة وغيرها من التجارب الحقيقية لأناس آخرين • فهذه امرأة تصف نورا أبيض لامعا، وتقابل آخرين كانوا هناك ليصحبوها الى الجانب الآخر ، مع فقـدان الاهتمام بوجودها فى حالة الموت • وهناك أيضا ملحوظتان تتصـلان بتجربة الخروج من الجسد : احساسها بأنها سمعت أصـوات الطبيب والممرضة من موضع فوقهما ، واحساسها بالطفو الى اعلى • ومن جهة أخرى فاننا نجد تفاصيل أخرى فى هذه القصة تتشابه مع تجارب حافة الموت التى تلقيناها على أنها حدثت بالفعل • لم يستطع أحد تشخيص النور الباهر ولم تحدث أحاسيس لا توصف بالسـلام والسعادة • أما وصفها لعالم ما بعد الموت فهو لفظى جدا • وتقول حسب ممارسـتها الدينية أن الكائنـات التى قابلتها ملائكة وتحـدثت عن الذهاب الى السماء التى تقع فى الاتجاه الى أعلى ذلك الاتجاه الذى ترفع رأسـها نحوه • وهى تنكر رؤية جسدها أو وجودها فى أى جسد آخر وقـد شعرت ببساطة ان كرسى طبيب الأسنان وليس شعورها الشخصى هـو

مصدر الحركة الحلزونية . وتكرر التركيز على عدم وضوح تجربتها وأنها لم تشعر بأن التجربة تؤثر فى عقيدتها عن الحياة الأخرى (فى الحقيقة أنها الآن تتشكك فى الحياة بعد الموت) .

وبمقارنة التقارير التى تنسب فيها التجربة الى تناول عقاقير ـ بالتقارير الأخرى التى تتضمن تجارب حقيقية عن حافة الموت ، نجد العديد من النقاط التى لابد من ذكرها . أولها : العدد القليل من الأفراد الذين وصفوا لى التجربة الناتجة عن العقاقير وهم محدودو العدد ولكنهم ليسوا محدودى الخيال أو القدرة على التصور أو الذكاء أو الثبات ـ بالمقارنة الى الأشخاص الذين سردوا تجارب حقيقية لحالات حافة الموت. وثانيها أن هذه التجارب المتأثرة بالعقاقير غير واضحة تماما . وثالثها أن القصص تختلف عن بعضها وتختلف أيضا عن التجارب الحقيقية لحافة الموت . وأود أن اضيف أننى عندما اخترت الحالة الخاصة بالتجربة التى تنتمى الى النوع الذى استخدمت فيه عقاقير مخدرة ، تعمدت اختيار تلك التجربة التى تتشابه تقريبا فى غالبية جزئياتها مع مجموعة التجارب الحقيقية وذلك لأنه يوجد ـ بصفة عامة ـ اختلافات شديدة بين هذين النوعين من التجارب .

وأكثر من ذلك فهناك عوامل اضافية عديدة تقف ضد التفسير الخاص بالعقاقير ـ لتفسير ظاهرة حافة الموت . وأكثرها دلالة يتركز فى عدم استخدام أية عقاقير فى حالات عديدة قبل التجربة كما أنه فى بعض الحالات الأخرى لم تستخدم العقاقير حتى بعد أحداث التجربة .

وفى الحقيقة أن الكثيرين جعلوا من ذلك موضوعا للاصرار على أن التجربة قد حدثت قبل استخدام أى نوع من الأدوية . وفى بعض الحالات حدث ذلك قبل تناول أى نوع من الأدوية المؤثرة فى الانتباه ـ

بفترة طويلة . وحتى فى تلك الحالات التى استخدمت فيها الأدوية حوالى نفس وقت حدوث التجربة فان تشـكيلة الأدوية المسـتخدمة للمرضى العديدين كانت شديدة التبـاين ، وهى تتراوح ما بين مواد من نوع الأسبرين الى المضادات الحيوية وهورمون الأدرنالين الى المخـدرات العادية والغازية . ومعظم هذه العقاقير ليس لها علاقة بالجهاز العصبى المركزى او المؤثرات الروحية . وتجدر بنا الاشارة أيضا الى أنه لا توجد اختلافات تصنيفية بين التجارب التى ذكرها هـؤلاء الذين لم يتعاطوا العقاقير مطلقا والتجارب التى ذكرها هؤلاء الذين كانوا تحت تأثير أدوية علاجية مختلفة الأنواع . وأخيرا فاننى أقول بدون تعليق أن امرأة ماتت مرتين فى حالتين منفصلتين بينهما عدة سـنوات وكانت فى المرة الأولى تحت تأثير مخدر ، وفى المرة الثانية لم تكن تحت تأثير أية عقاقير حيث مرت بتجربة مركبة . ان أحد الفروض الخاصة باستخدام الأدوية فى علم العقاقير يدور حول التصور العام ــ الذى يبدو أيضا أنه قد حاز القبول بين جمهرة العلمانيين غير المتخصصين فى مجتمعنا ــ بأن المواد الطبية التى تؤثر فى النشاط النفسى تسبب الحكايات النفسية التى ترتبط باستخدامها ولذلك فان هذه الأحداث النفسية تعتبر هلوسة غير حقيقية أو أوهاما أى انها تحدث فى العقل فقط . وعلينا أن نتذكر أن وجهة النظر هـذه مقبولة عالميا .

وهناك وجهة نظر أخرى عن العـلاقة بين العقاقير والتجارب التى تجرى حول استعمالاتها وهنا أعود الى الاستعمال المبدئى والاستكشافى لمـا نطلق عليه اسم « عقار الهلوسة » لقد تحول الناس خلال أجيـال عديدة لاستخدام هذه العقاقير ذات التأثير النفسى فى بحثهم عن سـبل تحقيق حالات أخرى من الانتباه والوصول الى آفاق أخرى للحقيقة .

(للتعرف الى الدراسات المعاصرة عن هذا الجانب من جوانب استخدامات العقاقير اقرأ الكتاب الذى صدر أخيرا بعنوان :

The natural mind — by : Andrew Weil, M.D.)

وعلى ذلك فان استخدام العقاقير كان مرتبطا تاريخيا ليس فقط بالدواء وعلاج الأمراض بل أيضا بالدين وادراك الاستنارة • فعلى سبيل المثال طقوس عبادة البيوت Peyot التى انتشرت بين الهنود الأمريكيين فى غرب الولايات المتحدة ـ استخدام نبات الصبار فى حقن الأتباع لتحقيق الرؤى الدينية والاستنارة • وتوجد عبادات أخرى منتشرة فى جميع أنحاء العالم يتقاسم أتباعها الاعتقاد بأن العقار الذى يستخدمونه يكشف ابعادا جديدة للحقيقة • ومع افتراض انتشار وجهة النظر هذه يمكن القول بأن استخدام العقاقير هو سبيل ضمن سبل عديدة تقود الى تحقيق الاستنارة واكتشاف مجالات أخرى للوجود وفى هذا الكثير من الشبه بتجربة حافة الموت • وكل ذلك يبين التشابه بين تجارب الحقن بالعقاقير مثل التجربة التى ذكرناها آنفا وبين التجارب الحقيقية لحافة الموت •

٢ ـ التفسيرات البدنية :

ان علم الفسيولوجى هو ذلك الفرع من علم وظائف الأعضاء الذى يبحث فى وظائف الخلايا والأعضاء أو الأجسام البشرية بكاملها والعلاقة بين هذه الوظائف • والتفسير الفسيولوجى أى البدنى لظاهرة حافة الموت التى استمعت اليها كثيرا ، يفترض أنه مادام المخ قد توقف امداده بالأكسجين خلال الموت الاكلينيكى وبعض أنواع الضغوط البدنية الشديدة فلابد من ملاحظة أن هناك نوعا من الصحوة التعويضية الأخيرة للمخ الذى يموت •

الخطأ الوحيد فى هذا الفرض هو كما يلى : ان العديد من تجارب حافة الموت قد حدثت قبل حدوث أى نوع من الضغط البدنى كما هو واضح من احصائيات تجارب الموت المبكرة • والحقيقة أن الاصابة البدنية لم تحدث مطلقا فى بعض الحالات ، ولكن كل عنصر من العناصر التى تظهر فى حالات الاصابة البدنية الشديدة يمكن مشاهدته أيضا فى الحالات الأخرى التى لم تحدث فيها اصابات •

٣ ـ التفسيرات العصبية :

علم النيورولوجيا هو التخصص الطبى الذى يبحث فى أسباب وأعراض وعلاج امراض الجهاز العصبى (تشمل مكونات الجهاز العصبى : المخ ، الحبل الشوكى ، الأعصاب) • وهناك ظاهرة تشبه تلك الظواهر التى وصلتنا عن طريق الأشخاص الذين عاشوا تجربة حافة الموت تظهر أثناء حالات عصبية معينة • ولذلك فان البعض سيفترض وجود تفسيرات عصبية لتجارب حافة الموت من خلال افتراض اختلال عمل الجهاز العصبى للشخص الميت • دعنا نهتم بالشواهد العصبية من خلال اثنتين من أكثر الحوادث اثارة فى تجارب الموت : « العرض الخاطف لأحداث حياة الميت ، وظاهرة الخروج من الجسد » •

قابلت مريضا فى قسم الأعصاب باحدى المستشفيات ، وصف لى حالة غريبة من الاختلال المفاجىء فى المخ شاهد خلالها عرضا سريعا لحياته المبكرة •

(حدث ذلك للمرة الأولى عندما كنت أنظر الى صديق لى عبر الحجرة • ظهر الجانب الأيمن من وجهه كما لو كان مشوها • وفجأة حدث تداخل فى ادراكى لمناظر الأشياء التى حدثت فى الماضى • ظهرت شبيهة بما كانت عليه عند حدوثها فى الطبيعة ، واضحة ومتكاملة فى

الألوان وذات أبعاد ثلاثة • وشعرت أنني مشمئز وأصبحت مبهوتا جدا لدرجة أنني حاولت أن أتجنب الصور • ومنـذ ذلك الوقت هاجمتني هـذه الحالة عدة مرات وتعلمت أن اتركها تأخذ مجراها • وأقـرب الشواهد التي أستطيع أن أفسرها بها هي الأشرطة التي يعرضها التلفزيون بمناسبة الأحتفال بالعام الجديد حيث نرى عرضا سريعا على الشـاشة لأحداث العام المنصرم ، وكلما رأيت حدثا منها يمر أمامك تفكر فيـه من حيث الحقيقة التي جرى بها • وهذا هو تفسير المرات التي هاجمتني فيها هذه الحالة • كنت أرى شيئا وأفكر «آه •• انني أتذكر دلك ••» وأحاول أن احتفظ به في عقلي ، ولكنه سرعان ما يمر حدث آخر قبـل أن أحتفظ بالأول • وكانت الصور تمثل أشياء حدثت بالفعل وليس فيها أي تعديل • وبعد أن تنتهي ألاحظ صعوبة في استرجاع الصور التي رأيتها • أحيانا أستطيع استرجاعها وأحيانا اخرى أفشل في ذلك •

وكانت عنـدما تظهر أتذكرها قائـلا لنفسي « أوه •• انها نفس الصور التي شـاهدتها من قبل » • ولكن عنـدما تنتهي يسـتحيل استرجاعها •

ويبدو أنها لم تكن أحداثا ذات معنى خاص في حياتي • والحقيقة أنها لم تكن كذلك ، لأنها كلها كانت تبدو تافهة • ولم تحدث بالترتيب الذي حدثت به في حياتي • انها تظهر بطريقة عشوائية •

وعندما تظهر الصـورة كنت أرى ما يجري حولي ولكن انتباهي كان أقل وليس بنفس الحـدة المعهودة ، كما لو كان نصف عقلي قـد انشغل بالصورة والنصف الآخر منصرفا الى ما أعمله او يجري حولي • ويقول الناس الذين لاحظوني وأنا في هذه الحالة أنها كانت تسـتغرق حوالي دقيقة ولكنها بالنسبة لي كانت تظهر كما لو كانت أجيالا) •

وهناك أوجه شبه واضحة بين هـذه النوبات التى كان يصحبها ظهور متاعب فى المخ ــ وبين الذاكرة الشاملة التى أوردها بعض الذين حدثونى عن تجربة حافة الموت • فعلى سبيل المثال نجد أن النوبة التى أصابت هذا الرجل اتخذت شكل صور مرئية كانت شديدة الوضــوح وذات أبعاد ثلاثة • وأكثر من ذلك أتضح أن الصــور تأتى اليه بدون قصد من جانبه • وذكر ايضا أن الصور كانت تمر بسرعة عظيمة ، وأكد على حدوث تشويه فى الاحساس بالزمن الذى استغرقته النوبة •

ومن جهة أخرى هناك اختلافات صارخة أيضا • فعلى عكس ما يحدث فى حالات حافة الموت فان صــور الذاكرة تمر حسب ترتيبها فى حياته كما أنه لم يرها كلها مرة واحدة فى رؤيا موحدة • ولم تدل أيضا على الأحداث الرئيسية فى حياته ، كذلك أكد على تفاهتها • وعلى ذلك أيضا لا يبدو أنها وردت اليه لأغراض الادانة أو التعليم • بينما العديد من موضوعات حافة الموت تشير الى أن هــذا العرض كان لأشخاص يتذكرون أحداث حياتهم بوضوح أشد وتفاصيل كثيرة • أما هذا الرجل فيذكر انه لم يستطع أن يتذكر ماهية الأحداث التى تلت الصور •

ان تجارب الخروج من الجســد لهــا شبيه عصبى فيما يســمى بالهلوسة الذاتية — Autoscopic hallucinations — أى التى تدور حول ذات الشــخص وهى موضوع دراسة ممتازة قام بهــا الدكتور N. Lukianowicz فى المجلة الطبية ــ وعنوانهــا : أرشــيف الأمراض العصبية والنفسية • وفى هذه الرؤى الغريبة يرى بطل الرؤيا نفسه من خلال تصوراته الشخصية • وهذه الثنائية الغريبة تقلد تعبيرات الوجه والحركات البدنية الأخرى للأصــل ، الذى يرتبك تمامــا عندما يرى صورته الشخصية أو شبحه الشخصى فجأة على مسافة قريبة منه على مدى النظر • وبالرغم من أن هذه التجربة مماثلة لمــا يحدث فى حالات

الخروج من الجسد التى وصفناها من قبل الا أن أوجه الاختلاف أكثر من أوجه الشبه • من ذلك أن الشبح الشخصى يلاحظ دائما فى صورة حية لدرجة أن صاحبه يراه أكثر منه حيوية وادراكا ، بينما نجـد أن الجسد فى تجارب الخروج من الجسد ـ يظهر مجردا من الحياة كما لو كان قوقعة • وكذلك فان الشبح الشخصى يسمعه صاحبه وهو يتحدث اليه ويصدر التعليمات ويسخر منه وما الى ذلك • بينما فى حـالات الخروج من الجسد ـ يظهر الجسـد الطبيعى كاملا (الا اذا كان قـد اسدل عليه غطاء أو حجب عن المشاهدين) ، أما الشبح الشخصى فانه يرى ابتداء من الصدر أو الرقبة •

وفى الحقيقة فان صور الشبح الشخصى لها ملامح أخرى تقترب مما أطلق عليه اسم الجسد الروحى أكثر من الجسد الطبيعى الذى يراه الشخص الميت • وبالرغم من أن صور الشبح الشخصى تشاهد بالألوان الا أنها توصـف فى الغالب بأنها كالدخان وشـفافة وعديمة اللون • ويستطيع الشخص أن يرى شبحه يسير من خلال الأبواب وغيرها من العوائق المـادية بلا مشقة ظاهرة •

وأقدم هنا قصة تدل على الهلوسة التى يظهر فيها الشبح الشخصى حسب الوصف الذى سمعته وهى حكاية منقطعة النظير من حيث أنهـا تقدم شبحين فى وقت واحد :

(حدث منذ حوالى عامين قبل زواجى من زوجتى ، وفى حـوالى الساعة الحادية عشرة من احدى ليالى الصيف ـ أنى كنت أصطحبها الى منزلها فى سيارتى • وتركت السيارة فى الشارع الخافت الضـوء أمام منزلها • وعجبنا عندما نظرنا فى وقت واحد فرأينا صورتين كبيرتين لنـا ابتداء من الخصر وقد جلسنا متجاورين جنبا الى جنب بين الأشـجار

المتشابكة فى هذا الشـــارع على بعد حوالى مائة قـــدم أمامنا • كانت الصورتان داكنتين مثل الصور السلويت ، ولم نر شـــيئا من خلالهما ولكنهما كانتا مطابقتين للأصل تماما • وعلى أى حال فاننا لم نجد صعوبة فى التعرف عليهما سريعا • كانتا تتحركان ولكن حركتهما لم تكن تقليدا لتحركاتنا لأننا كنا جالسين نرقبهما • وقاما بعمل أشياء منها ان شـــبحى التقط كتابا • وعرض شيئا فيه على شبح زوجتى فانحنت ونظرت بأمعان الى الكتاب •

وعندما كنا جالسين هناك استطعت أن أصف المنظر لحظة قصيرة، عارضا على زوجتى ما كان الشبحان يفعلانه ، وهو نفس الفعل الذى رأته زوجتى معى فى نفس الوقت • ثم تغـــير المنظر فكانت تصـــف لى ما يفعلانه فاذا بة ينطبق على ما أراه تماما •

وجلسنا هناك لفترة طويلة لا تقل عن ثلاثين دقيقة نراقبهما ونتحدث عما يفعلانه • وأظن انه كان من الممكن قضاء الليل كله على هذه الحال• وكان لابد لزوجتى من الدخول فمشينا معا صاعدين التل الى منزلها • وعند نزولى رأيت الشـــبحين ثانية وكانا لا يزالان فى مكانهما عنـــدما ابتعدت بسيارتى • لا توجد شبهة للقول بأن ذلك نوع من انعكاس الصور على الزجاج الأمامى للسيارة لأن مقدمة السيارة كانت الى أسفل، وكنا ننظر فوق لوح الزجاج الأمامى لنرقبهما طوال الوقت • وكان ذلك قبل ثلاث سنوات من ظهور عقار LSD أو غيره من عقاقير الهلوسة • كذلك لم نكن متعبين بدنيا بالرغم من ان الوقت كان متأخرا • كذلك لم نكن نائمين أو فى حلم • كنا فى غاية اليقظة متنبهين وحذرين ونحن نرقب الشبحين ونتحدث عنهما معا) •

فلنســـلم بأن الهلوســـة الذاتية أى رؤية الشـــخص لشبحه ــ تشبه من بعض الجوانب ظاهرة الخروج من الجســـد المرتبطة بتجربـــة

حافة الموت • وحتى اذا أردنا أن نسلط الأضواء على كافة أوجه الشبه بينهما مع اغفال أوجه الخلاف كلية فان ظاهرة الهلوسة الذاتية هذه لن تقدم لنا تفسيرا لحدوث تجارب الخروج من الجسد • والسبب ببساطة هو عدم وجود تفسير لظاهرة الهلوسة الذاتية نفسها •

لقد عرضت تفسيرات غامضة عديدة على يد المتخصصين فى الأعصاب والطب النفسى ولكنها لاتزال موضع مناقشة ، ولم يستطع أى من هذه التفسيرات أن يحظى باجماع القبول • ولذلك فان محاولة تفسير جميع تجارب الخروج من الجسد بأنها هلوسة ذاتية ليست الا زيادة فى غموض اللغز •

وأخيرا فان هناك نقطة أخرى تتعلق بمناقشة التفسيرات العصبية لتجارب حافة الموت : لقد وجدت فى حالة واحدة شخصا واجه مشكلة عصبية مزمنة تنتج عن حالة حافة الموت وكانت المشكلة عبارة عن عجز متوسط الحدة تمثل فى شكل شلل نصفى لمجموعة صغيرة من العضلات فى جانب واحد من الجسم • وبالرغم من اننى سئلت عدة مرات عن حدوث عجز مزمن فان هذه هى الحالة الوحيدة التى صادفتها بخصوص حدوث تلف عصبى بعد مواجهة تجربة حافة الموت •

التفسيرات السيكولوجية

لم يحقق علم النفس بعد شيئا يقترب من درجة الصراحة والدقة التى وصلت اليها علوم أخرى فى عصرنا الحاضر ولايزال الأطباء النفسيون منقسمين الى مدارس فكرية متنازعة، ووجهات نظر متداخلة ، واجتهادات استقصائية ، ومفاهيم أساسية حول وجود وطبيعة العقل • ولذلك فان التفسيرات النفسية لتجارب حافة الموت تختلف حسب المدرسة الفكرية التى ينتمى اليها المفسر • وبدلا من الاهتمام بكل نوع من التفسيرات

النفسية المفروض بحثها فانني سأركز على القليل الذى استمعت اليه كثيرا من الأطباء النفسيين الذين كانوا بين جماهير المستمعين ، وأنتقى من بين هذه التفسيرات أكثرها شمولا .

لقد تناولت قبلا طرازين من التفسيرات النفسية الشائعة وهما اللذان يفترضان اللجوء الى الكذب فى الشعور أو التنميق فى اللاشعور . أما فى الفصل الحالى فانني سأتحدث عن طرازين آخرين :

١ ـ دراسة العزلة :

لم يقدم أحد تفسيرا لتجارب حافة الموت حسب اصطلاحات دراسة العزلة وذلك خلال كافة المحاضرات التى ألقيتها حول هذه الدراسة . ولكنها تقع باختصار فى نطاق ذلك الفرع المكتشف حديثا والذى يشتهر بسرعة وأعنى به فرع العلوم السلوكية ، حيث تمت دراسة خطوات تجربة حافة الموت فى ضوء التجارب المعملية .

ودراسة العزلة هى دراسة ما يحدث لعقل وجسم شخص يتم عزله بطريقة أو بأخرى حيث يمنع عن ممارسة كافة العلاقات الاجتماعية مع غيره من البشر أو يكلف بعمل رتيب ومتكرر لفترات طويلة .

تم جمع الفروض الخاصة بالمواقف التى من هذه النوعية بطرق عديدة . وتتضمن القصص المدونة لتجارب كل فرد من الذين اكتشفوا القطب بمفردهم او الأفراد الذين نجوا فرادى من بين حطام السفن ؛ معلومات كثيرة عن هذه النوعية من الفروض .

وفى خلال عشرات السنين القريبة حاول الباحثون أن يحققوا ظواهر مماثلة باخضاعها لأبحاث التجارب المعملية . ويستخدم فى ذلك أسلوب معروف يتلخص فى تعليق متطوع فى خزان للمياه التى تكون

حرارتها فى نفس درجة حرارة جسمه • وهذا الأسلوب يقلل من الاحساس بالوزن والحرارة ، ثم تعصب عيناه وتسد أذناه بسدادتين للتركيز على تأثير الظلام وانعدام الصوت ، أما ذراعاه فتقيدان فى أسطوانتين فلا يستطيع الحركة ، وبذلك يتجرد من الأحاسيس العادية الخاصة بالحركة والموقع •

وتحت مثل هذه الظروف وغيرها من ظروف التوحد عاش بعض الناس تجارب نفسية غير عادية كان الكثير منها يشبه تلك التى تحدثت عنها فى الفصل الثانى على وجه التقريب • من ذلك امرأة قضت فترات طويلة بمفردها فى المناطق المنعزلة فى القطب الشمالى تسرد رؤية واسعة لأحداث حياتها • أما البحارة الذين نجوا من حطام السفن وقضى كل منهم عدة أسابيع فى قارب صغير ، فقد وصفوا لنا الهلوسة الخاصة بكيفية انقاذهم أحيانا بواسطة كائنات خرافية مثل الأشباح او الأرواح• ويشبه ذلك من بعض الوجوه الكائن النورانى أو أرواح الراحلين التى صادفها كثيرون ممن تحدثت اليهم • أما الظواهر الأخرى التى تشبه تجارب حافة الموت والتى تتكرر فى حكايات التجارب المنعزلة فتتضمن :

التشويش من جهة الاحساس بالزمان ، والشعور بالتحرر الجزئى من الجسد ، ومقاومة العودة الى العالم المتحضر او التخلص من العزلة ، والشعور بالاندماج فى الكون • وبالاضافة الى ذلك فان العديد من هؤلاء الذين انعزلوا فى أحداث حطام السفن أو ما يشبهها يقولون أنهم عادوا الى العالم المتحضر مع حدوث تغير عميق فى نظرتهم الى القيم الانسانية بعد عدة أسابيع من الوجود فى حالة العزلة هذه ، بالاضافة الى احساسهم بالأمن الداخلى • ومن الواضح أن هذا التكامل فى الشخصية يشبه ما ذكره الكثيرون ممن عادوا من تجربة حافة الموت •

وهناك معالم معينة لمواقف حافة الموت تشبه المعالم التى ميزت تجارب ودراسات العزلة • ان المرضى الذين يمرون بتجربة حافة الموت هم فى الغالب منعزلون ومعدومو الحركة فى حجرات بالمستشفيات ، وفى حالتهم هذه تكون الأصوات خفيضة ، والأضـــواء خافتة ، ولا يسمح لأحـــد بزيارتهم ، ولذلك فاننا نتعجب مما اذا كانت التغييرات النفسية المرتبطة بموت الجسد يمكن أن تؤدى الى نوع من الانعزال الناتج عن انعـــدام وصول المدخلات الحسية الى المخ • وكما سبق أن رأينا فان العديد من مرضى حافة الموت قد ذكروا لى أنهم أحسوا بالانعزال وانعدام الاتصال بالآخرين خلال وجودهم فى حالة الخروج من الجسد •

حقا ! • ان الانسان بلا شك يستطيع أن يجد حالات فاصلة يصعب تصنيفها ســـواء تحت مجموعة تجارب حافة الموت أو مجموعة تجارب العزلة • من ذلك على سبيل المثال ان رجلا ذكر لى القصـــة التالية عن وجوده بالمستشفى مصابا بمرض شديد الوطأة فقال :

(كنت أعانى من المرض الشديد بالمستشفى ، وبينما أرقد هناك تعودت على رؤية الصور التى كانت تداهمنى كما لو كنت أراها من خلال شاشة التلفزيون • وكانت هذه الصـــور تمثل أشخاصا ، فكنت أرى شخصا فى الفضاء على مسافة قريبة ويبدأ فى الاتجاه نحوى ، ثم تضمحل الصـــورة لتظهر مكانها صورة أخـــرى • وكنت أعرف أننى فى حجرة بالمستشفى وأننى مريض ، ولكننى بدأت أعجب لمـــا يدور • والآن اقول أن بعض هؤلاء الناس الذين رأيت صورهم كنت أعرفهم شخصيا لأنهم أصدقائى وأقاربى والبعض الآخر لم أعرفه • وفجأة عرفت أن كل من رأيتهم من الموتى) •

ونتساءل الآن : تحت أى تصنيف نضـــع هذه التجربة ؟ ان لهـــا بعض اوجه الشبه المشتركة بين تجارب حافة المـــوت وتجارب العزلة •

انها تبدو قريبة من حالات حافة الموت التى تحدث خلالها اللقاءات مع أرواح الذين رحلوا ، وفى نفس الوقت تختلف عنها من حيث عـدم حدوث أى من الظواهر الأخرى المرتبطة بتجربة حافة الموت •

وقد أثارتنى حالة من حالات دراسات العزلة كان بطلها منعزلا فى مقصورة بعنبر النوم باحدى المستشفيات لفترة معينة ، وقد وصف لى نوبات من الهلوسة رأى خلالها صور رجال مشهورين تمر أمام ناظريه• فهل تندرج مثل هذه الحالة تحت مجموعة تجـارب حافة الموت التى تصحب المرض الشديد ؟ أم تحت مجموعة تجارب العزلة التى تحـدث فى ظروف ملازمة الفراش الضرورية للمرض الشديد ؟ انها حالة لا ينطبق عليها أى معيار يساعد على تصنيفها تحت أى من المجموعتين • ولابـد أن تكون هناك حالات متأرجحة من هذا النوع •

وبالرغم من هذه التداخلات فان نتائج دراسات العزلة لا تعطينـا تفسيرا مقنعا لحالات حافة الموت • ففى المحل الأول نجـد أن ظاهرة التباين العقلى التى تحدث فى حالات العزلة لا يمكن تفسيرها حسب أى فكرة معروفة • والالتجاء الى دراسات العزلة لتفسير تجارب حافة الموت يشبه محاولة تفسير تجارب الخروج من الجسـد بالعودة الى حالات الهلوسة الذاتية ، أى استبدال غموض بغموض نظرا لوجود اجتهادين فكريين متداخلين حول طبيعة المرئيـات التى تحدث فى حالات العزلة فالبعض يعتبرها غير حقيقية كنوع من الهلوسة ، بينما نجد على مدى عصور التاريخ ان فئات كثيرة لجأت الى العزلة فى الصحراء بحثـا عن الاستنارة واكتشاف الحقيقة • ان المفهوم القائل بأن التجديد الروحى يمكن الوصول اليه عن طريق العزلة يمثل ركيزة أساسية فى معتقـدات شعوب كثيرة وينعكس فى العديد من النصـوص الدينية بما فى ذلك الكتاب المقدس • وبالرغم من أن هذه الفكرة غريبة على بناء المعتقدات

الغربية المعاصر ، الا أنه لا يزال لها مؤيدون كثيرون حتى فى المجتمع الغربى . وقد وضع أحد الباحثين المشهورين فى موضوع العزلة وهو الدكتور جون ليلى كتابا عن السير الذاتية الروحية عنوانه : The centre of the cyclone — ومعناه : عين الاعصار — يقول فى هذا الكتاب أنه يعتبر التجارب التى مر بها تحت ظروف العزلة ، تجارب حقيقية للاستنارة ونفاذ البصيرة ، وليست خيالية أو وهمية على الاطلاق. ومن المفيد أن نذكر أنه أورد تجربة شخصية عن حافة الموت تشبه كثيرا التجارب التى درستها ، وهو يضع تجارب حافة الموت الخاصة به فى نفس المكانة التى يضع فيها تجاربه عن العزلة ، ولذلك فهو يضع عقاقير الهلوسة ، والمواجهة مع الموت — بين الوسائل العديدة الأخرى للدخول فى مجالات جديدة للادراك .

٣ — الأحلام والهلوسة والأوهام :

ربما يقول البعض أن تجارب حافة الموت مجرد أحلام أو تخيلات او هلوسة ناتجة عن عوامل مختلفة — منها عقاقير الهلوسة فى بعض الحالات ، ونقص الأكسجين الوارد الى المخ فى حالات أخرى ، والانعزال فى البعض الأخير .. وهكذا . وهم يفسرون تجارب حافة الموت على أنها أوهام . وأظن أن هناك عدة عوامل تتعارض مع هذه التفسيرات : أولها يتعلق بالتشابه الشديد فى المضمون والتطور ، ذلك الذى نجده بين تلك الأوصاف بالرغم من حقيقة أن ما وصلنا بصفة عامة ليس الا بعض ما تتصور حدوثه للميت فى بيئتنا الثقافية . وبالاضافة الى ذلك نجد أن صورة أحداث الموت التى تنبثق عن تلك الحكايات تتشابه بطريقة صارخة مع تلك الواردة فى الكتابات القديمة والسرية وهى لا تنطبق على الحالات التى درستها .

أما ثانيها فيدور حول حقيقة مهمة وهى أن الأشخاص الذين

تحدثت معهم لم يكونوا ضحايا للاختلال العقلى ، فقد أثاروا انتباهى بسبب توازن شعورهم ، الى جانب انهم أفراد عاديون يعملون بالمجتمع فى وظائف ومراكز مرموقة يتحملون مسئوليتها ، وكذلك فهم مستقرون فى حياتهم الزوجية ومندمجون مع عائلاتهم وأصدقائهم • وجميع الذين تحدثت معهم لم يمر أحدهم بأكثر من تجربة غريبة واحدة على مدار حياته ، وأكثر من ذلك أنهم أناس يستطيعون التفرقة بين الأحلام وتجارب اليقظة • وهم أناس سردوا ما مروا به عند وجودهم فى تجربة حافة الموت ليس كأحلام بل أحداثا وقعت لهم • وهم يؤكدون لى خلال سردهم أن تجاربهم لم تكن أحلاما بل حقائق قاطعة •

وأخيرا فهناك حقيقة أن الاثبات المستقل لهذا النوع توجد فى تقارير الخروج من الجسد • وبالرغم من التزامى تجاههم بعدم ذكر الأسماء والتفاصيل التى تكشف عن الشخصيات ، الا أننى رأيت وسمعت ما يكفى للقول بأننى سأظل متحيزا ومأخوذا بهذه التجارب • وفى رأيى أن أى شخص يبحث فى تجارب حافة الموت بطريقة منظمة يستطيع كذلك أن يكشف مثل هذا الاثبات الواضح • وأعتقد أنه سيجد على الأقل الحقائق التى تجعله يعجب حيال تجارب حافة الموت وهى أبعد عن أن تكون أحلاما ، وسيجد أيضا أنها لا يمكن ان تندرج تحت أى من النوعيات السابقة •

وكتعليق أخير دعونى أقول أن هذه التفسيرات ليست مجرد مذاهب فكرية بحتة ، بل أنها تعتبر من بعض النواحى ــ تصميمات لذوات الأشخاص الذين يقدمونها • ان الناس مولعون عاطفيا بمبادىء التفسيرات العلمية التى يبتكرونها أو يقتبسونها •

وخلال محاضراتى العديدة عن مجموعة تقارير أحداث حافة

الموت صادفت مؤيدين لنوعيات عديدة من التفسيرات • ان الأفراد ذوى العقليات المتخصصة فى وظائف الأعضاء أو العقاقير أو الأعصاب ، يعتبرون مجالات نشاطهم مصدرا للتفسيرات البديهية الواضحة حتى عندما يتصل الأمر بالحالات التى لا تندرج تحت هذا التفسير • ان هؤلاء الذين يتبنون مبادىء فرويد يفرحون لرؤية " الكائن النورانى كدليل على السلطة الأبوية ، بينما يرى اتباع يونج النماذج الأصلية الخاصة باللاشعور الجماعي وغيرها بلا نهاية •

وبالرغم من أننى أريد التأكيد مرة ثانية على أننى لا أقدم أية تفسيرات جديدة خاصة بى ، الا أننى حاولت أن أقدم القليل من الأسباب التى توضح لماذا تبدو التفسيرات المعروضة أمامى موضع شك • وفى الحقيقة أن كل ما أريد تقديمه هو هذا : دعنا على الأقل نترك الباب مفتوحا لاحتمال أن تقدم تجارب حافة الموت ــ ظاهرة روائية ــ قد نبتكر لها نماذج جديدة من التفسيرات والتأويلات ••

(٦)

انطباعات

عند وضع هذا الكتاب توقعت ان يساء فهم الغرض والدوافع ، خاصة من جانب هؤلاء القراء ذوى العقليات العلمية ، وأدرك فى نفس الوقت أن ما قدمته هنا لا يشكل دراسة علمية . أما بالنسبة لزملائى من الفلاسفة فأصر على القول بأننى لم أتخيل قدرتى على البرهان على وجود الحياة بعد الموت ، لأن معالجة مثل هذه الأمور بصورة كاملة تستدعى التوسع فى مناقشة التفاصيل الفنية التى تذهب الى أبعد من المدى الذى وصلنا اليه فى هذا الكتاب ، ولذلك فاننى سأقتصر على تقديم الملاحظات الموجزة التالية :

فى مثل تلك الدراسات المتخصصة كالمنطق والقانون والعلوم نجد أن كلمات « نتيجة » و « برهان » و « دليل » اصطلاحات علمية ذات معان أكثر دراية بشئون الحياة أكثر مما يبدو عند الاستعمال الدارج لها فى اللغة اليومية حيث تستعمل هذه الكلمات بدون تحفظ . واذا ألقينا نظرة على احدى المجلات الشعبية نستطيع رؤية أن أى قصة بعيدة الاحتمال يمكن عرضها كدليل على بعض المزاعم المستحيلة .

وفى علم المنطق نجد أن ما نستطيع ومالا نستطيع القول بأنه ينتج عن المقدمات ــ لا يمثل امرا طارئا بالمرة ، لأن هناك قواعد وتقاليد وقوانين تحدده بقوة ودقة . عندما نقول أن شخصا قد توصل الى نتيجة معينة فاننا انما نزعم بأن أى شخص آخر يبدأ بنفس المقدمات لابد وأن ينتهى الى نفس النتيجة اذا لم يقع فى أخطاء منطقية .

وهذه الملاحظات تبين لماذا أرفض تحديد أية نتائج لدراستى هذه ولماذا لا أحاول أن أقيم دليلا على صحة المذهب القديم عن البقاء بعد الموت • ولكننى أظن أن هذه التقارير عن تجارب حافة الموت ذات معنى عميق • واريد أن أجد أسلوبا معندلا لتأويلها ــ أسلوبا لا يرفض هذه التجارب على أنها لا تشكل دليلا علميا أو منطقيا ولا نستشعرها بالالتجاء الى الادعاءات العاطفية الباهتة ــ بأنها تدل على وجود حياة بعد الموت •

وفى نفس الوقت تبدو لى كاحتمال مفتوح للدلالة على أن عجزنا الحالى عن تقديم دليل لا يمثل قيــدا تفرضه طبيعة تجارب حافة الموت نفسها ، وربما كان قيدا على النماذج المسلم بها للفكر العلمى والمنطقى• وربما أصبحت دوافع رجال العلم والمنطق فى المستقبل مختلفة تماما • (علينــا أن نتذكر أن مناهج البحث العلمى والمنطقى ليست أســاليب ثابتة أو ساكنة بل هى عمليات نامية ودائمة الحركة) •

ولذلك لم أركز على النتائج أو الأدلة أو البراهين ، ولكننى ركزت على أشياء اقل تحديدا مثل : المشاعر والاستفسارات والنظائر وتفسير الحقائق المحيرة • وفى الحقيقة أجد أنه من الأفضل السؤال ليس عمــا توصلت اليه من نتائج على أساس دراساتى ، ولكن كيف أثرت هــذه الدراسات فى شخصى • والرد هو أننى أستطيع القول فقط بأن : هناك شيئا مقنعا جدا وانت ترى شخصا يصف لك تجربته التى لا يمكن نقلها كتابة • لقد كانت تجارب حافة الموت أحداثا حقيقية بالنسبة للأشخاص الذين مروا بها ومن خلال علاقتى معهم أصبحت هذه التجارب حقائق بالنسبة لى • ،

وعلى كل حال فأنا أعرف أن هـذا اعتبار نفسى وليس اعتبـارا منطقيا ، لأن المنطق موضـوع عمومى اما الاعتبارات النفسية فليست عمومية بنفس الطريقة • ان شخصا ما يمكن أن يتأثر أو يتغير بطريقة ما بينما يتأثر شخص آخر بطريقة أخرى تحت نفس الظروف • انه أمر يتعلق بالتنسيق والمزاج ولا أريد أن أفرض القول بأن رد فعلى الشخصى نحو هذه الدراسة يجب أن يكون قانونا مقيدا لتفكير الآخرين • وعلى ضوء هذه الملحوظات قد يسألنى سائل : « اذا كان تأويل هذه التجارب أمرا ذاتيا فلماذا تقوم بدراستها ؟ » ولا أجد أمامى طريقة للاجابة عن هذا السؤال سوى أن اشير ثانية الى الاهتمام الانسانى بظاهرة الموت على المستوى العالمى ، وأعتقد أن أى ضـوء يسلط على طبيعة الموت سيقودنا الى عالم أفضل •

والتبصير بهذا الموضوع ضرورى لأفراد كثيرين من العاملين بالمهن والمجالات الأكاديمية • انه ضرورى للطبيب الذى يتعامل مع مخاوف وآمال مريض يموت ، ورجل الدين الذى يساعد الآخرين على تقبـل الموت ، وهو ضرورى أيضا للمحلل النفسى وطبيب الأمراض النفسـية لأن كلا منهما فى سـبيل البحث عن طريقة فعالة وموثوق بها لعـلاج اضطرابات المشاعر ـ يحتاج أن يعرف ماهية العقل ، وما اذا كان ممكنا أن يبقى منفصلا عن الجسد ، واذا لم يكن الأمر كذلك فان العـلاج النفسى سيحل محله اسـتخدام العقاقير الطبية والصـدمات الكهربائية وجراحات المخ وما شابه ذلك من الأساليب الطبية •

ومن ناحية أخرى ، اذا كانت هناك دلائل على أن العقل يمكن أن يبقى منفصلا عن الجسد فان علاج الاضطرابات العقلية سيختلف تماما عن علاج سائر أعضاء الجسم •

وعلى أية حـــال فان الأمر يحتاج الى مســاهمة ماهــو أكثر من المناقشات الأكاديمية والمهنية • انه يحتاج الى شخصية المناقشـــات لأن ما تتعلمه عن الموت ينتج عنه اختلاف مهم فى الطريقة التى نعيش بها • واذا كانت التجارب التى درستها حقيقية فسيكون لها مغزى عميق حول ما يفعله كل منا بحياته الخاصة • وحينـــذاك يحق القول بأننا لا نفهم حياتنا تماما حتى تتعرف فى لمحة سريعة على ما يكمن وراءها •••

مراجع الكتاب

✻ — EVANS-WENTZ, W.Y. (ed.), The Tibetan book of the Dead, New York, Oxford University Press. 1957.

✻ — HAMILTON, EDITH and CAIRNS, HUNTINGTON (eds.), The Collective Dialogues of Plato, New York, Bollingen Foundation, 1961.

✻ — LILLY, JOHN C., M.D. The center of the Cycone, New York, The Julian Press, 1972.

✻ — LUKIANOWICZ, N., "Autoscopic Hallucinations," Archives of Neurology and Psychiatry (August, 1958).

✻ — PLATO, The last Days of Socrates, trans. by Hugh Tredennick, Baltimore, Penguin Books, 1959.

✻ — STEVENSON, IAN, M.D., Twenty Cases suggestive of Reincarnation, Charlottesville, University Press of Virginia, 1974.

✻ — SWEDENBORG, EMANUEL, Compendium of the theological and spiritual writings of Emanuel Swedenborg, Boston, Cosby and Nichols, 1853.

✻ — WEIL, ANDREW, M.D., The Natural Mind, Boston, Houghton Mifflin, 1973.

محتويات الكتاب

منشورات أسقفية الدراسات العليا اللاهوتية

والثقافة القبطية والبحث العلمى

١ ـ أهمية العقيدة الأرثوذكسية للحياة الروحية .

٢ ـ الأقباط الأرثوذكس وجمعيات خلاص النفوس البروتستانتية ـ بيان للشعب الأرثوذكسى .

٣ ـ تعليم كنيسة الاسكندرية وأخواتها الكنائس الأرثوذكسية الشقيقة فيما يختص بطبيعة السيد المسيح .

٤ ـ القيم الروحية المنطوية فى عقائد وطقوس الكنيسة الأرثوذكسية ـ الجزء الأول ـ فى عقائد المسيحية العظمى .

٥ ـ القيم الروحية ـ الجزء الثانى ـ فى سر المعمودية .

٦ ـ القيم الروحية ـ الجزء الثالث ـ فى سر الميرون .

٧ ـ القيم الروحية ـ الجزء الرابع ـ فى سر القربان .

٨ ـ محاضرات فى لاهوت المسيح ـ ١٣ محاضرة .

٩ ـ ايضاح وبيان المبادىء العامة الأساسية فى موضوع انتخاب البطريرك .

١٠ ـ دير المحرق ـ تاريخه ووصفه وكل مشتملاته .

١١ ـ العذراء فى الزيتون .

١٢ ـ بركات سر التجسد .

١٣ ـ الشباب وروح العصر .

١٤ ـ روحانية الكنيسة القبطية .

١٥ ـ لماذا الصليب ؟

١٦ ـ المسيحية والاجهاض .

١٧ ـ اسرائيل فى الميزان من منظار مسيحى .

١٨ ـ الكنيسة ومزاعم اسرائيل السبعة .

١٩ ـ ما بين الاسكندرية وروما وبيزنطة .

٢٠ ـ الكتاب المقدس كتاب كل العصور .

٢١ ـ القديس الأنبا ابرام أسقف الفيوم والجيزة .

٢٢ ـ الدرس الأول للمرأة .

٢٣ ـ ايستطيع أعمى ان يقود أعمى ؟

٢٤ ـ المسـيح ملكا .

٢٥ ـ الالتزام الاجتماعى فى فكر الآباء وتاريخ الكنيسة .

٢٦ ـ الالحاد المعاصر ، وكيف نجابهه .

٢٧ ـ انت المسيح ابن الله الحى ـ الحلقة الأولى .

٢٨ ـ الأم .

٢٩ ـ امرأة من لبنـان .

٣٠ ـ الكنيسة وقضايا الوطن والدولة والشرق الأوسط ـ الجزء الأول.

٣١ ـ الرأى المسيحى فى تحديد النسل .

٣٢ ـ أحد التناصير ـ أو المولود أعمى .

٣٣ ـ الكنيسة وقضايا الوطن والدولة والشرق الأوسط ـ الجزء الثانى (عودة رفات القديس مرقس الرسول) .

٣٤ ـ فى عالم الروح ـ تعريفات أولية .

٣٥ ـ البابا ديسقورس الاسكندرى حامى الايمان أمام منبر التاريخ .

٣٦ ـ محاكمة يسوع المسـيح .

٣٧ ـ عيد التجلى المجيـد .

٣٨ ـ انت المسيح ابن الله الحى ـ الحلقة الثانية .

٣٩ ـ أهمية العقيدة الدينية للحياة الروحية . طبعة ثانية مزيدة .

٤٠ ـ الشر ، أسبابه ونتائجه .

٤١ ـ فى ليلة عيد الميلاد المجيد . الاختيار الملهم لفصول القراءة .

٤٢ ـ الكنيسة وقضـايا الوطن والدولة والشرق الأوسـط ـ الجزء الثالث .

٤٣ ـ القيم الروحية ـ الجزء الخامس ـ فى سر التوبة .

٤٤ ـ انت المسيح ابن الله الحى ـ الحلقة الثالثة .

٤٥ ـ انت المسيح ابن الله الحى ـ الحلقة الرابعة .

٤٦ ـ دعوا الروح يملأكم .

٤٧ ـ القيم الروحية ـ الجزء السادس ـ فى سر مسحة المرضى .

٤٨ ـ شرح مبسط لقانون الايمان .

٤٩ ـ القديس يوسف النجار خطيب العذراء مريم .

٥٠ ـ الشباب وروح العصر ـ طبعة ثالثة مزيدة .

٥١ ـ الدرس الأول للمراة ـ طبعة ثانية مزيدة .

٥٢ ـ انت المسيح ابن الله الحى ـ الحلقة الخامسة .

٥٣ ـ انت المسيح ابن الله الحى ـ الحلقة السادسة .

٥٤ ـ القيم الروحية ـ الجزء السابع ـ فى سر الزيجة .

٥٥ ـ تأملات وتعليقات على رسالة القديس بولس الرسول الأولى الى تيموثيئوس .

٥٦ ـ ذكرياتى عن وفى كنيسة القديس الأنبا انطونيوس بشيكولانى ـ شبرا مصر .

٥٧ ـ الأقباط والتعليم فى مصر الحديثة .

٥٨ ـ الكنيسة المصرية القبطية وكنيسة أثيوبيا .

٥٩ ـ تأملات وتعليقات على رسالة القديس بولس الرسول الثانية الى تيموثيئوس .

٦٠ ـ جسم القيامة فى ضوء تعاليم العهد الجديد .
الجزء الأول ـ الجسد ومكونات الانسان .

رقم الايداع بدار الكتب ٥٤٣٢ لسنة ١٩٨٥

هذا الكتاب

الحياة بعد الموت

LIFE AFTER LIFE

طبعت الطبعة الأولى منه فى شهر نوفمبر ١٩٧٥ ووصل عدد طبعاته الى ٤٠ طبعة صدر منها ٣٤ طبعة خلال شهر يونيه ١٩٨١ وحده .

تجاوز عدد النسخ المطبوعة باللغة الانجليزية ثلاثة ملايين نسخة ...



دار الجيل للطباعة
جمهورية مصر العربية
١٤ قصر اللؤلؤة - الفجالة
تليفون : ٩٠٥٢٩٦